مكتبتنا العربية

الموسوعة الصغيرة
٨٦

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول
مختلف العلوم والفنون والاداب
تصدرها دار الجاحظ للنشر

رئيس التحرير: موسى كريدي

الكتاب القادم :

شعر الحرب عند العرب

تأليف
د. نوري حمّودي القيسي

السعر ٥٠ فلسا
دار الحرية للطباعه - بغداد

أثر البيئة في الحكاية
الشعبية العراقية

تأليف د. عمر محمد الطالب

مكتبتنا العربية

من هدفه
مجال
الابداع

(الموسوعة الصغيرة ٨٦)

د . عمر محمد الطالب

- ولد في مدينة الموصل عام ١٩٣٢
- حصل على بكلوريوس في الآداب عام ١٩٥٣ وبكلوريوس في الحقوق عام ١٩٥٤
- حصل على ماجستير في اللغة العربية وآدابها عام ١٩٦٥
- حصل على الدكتوراة عام ١٩٦٧
- عمل استاذاً في جامعة الموصل وسكرتير تحرير مجلة الجامعة

في مؤلفاته

١ ـ الرواية العربية في العراق عام ١٩٧١ (دراسة)
٢ ـ المسرحية العربية في العراق عام ١٩٧١ (دراسة)
٣ ـ الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية عام ١٩٧١ (دراسة)
٤ ـ لحظات اقناعها ضباب الايام عام ١٩٧١ (مجموعة قصصية)
٥ ـ الاحداق المجروحة عام ١٩٧٦ (رواية)
٦ ـ القصة القصيرة الحديثة في العراق عام ١٩٧٩ (دراسة)

د . عمر محمد الطالب

أثر البيئة
في الحكاية الشعبية العراقية

الدكتور عمر الطالب

منشورات دار الجاحظ للنشر ـ بغداد
١٩٨١/٢٤ ـــــــ الجمهورية العراقية

مكتبتنا العربية

الحكاية الشعبية اسلوب اجتماعي هدفه الاصلاح والتقويم والتوجيه والموافقة في مجال الحياة العامة . لذا نجد فيها النقد اللاذع والسخرية المرة والنادرة ، كما نجد فيها العبرة الرادعة او الاقناع بحقيقة الواقع الاليم الذي تتحاشاه النفوس . ولا بد ان تتطور الحكاية الشعبية مع الزمن وان يظهر تاثير البيئة فيها واضحا جليا ، فهي نتيجة تطور المجتمع ، وهي تتبعه في تنوع مصالحه وتعدد اغراضه وهي لا تقتصر على جانب واحد دون اخر بل تشمل جوانب البيئة المختلفة ، في اسلوب التواصل والتعامل بين الافراد والجماعات في نقد اسلوب الحكم والحكام وما له علاقة بالدين والتدين وحياة الافراد الواضحة والمستورة ، وبهذا التفاعل بين الحكاية الشعبية والمجتمع اصبحت الحكاية وعاء لكثير من احداث التاريخ وتصويرا دقيقا لوقائع هذا التاريخ على صدر الاحساس الشعبي العميق بهذه الوقائع . ومن هذا التحليل نستطيع ان نحدد مصطلح الحكاية الشعبية : « استجابة مباشرة للاحساس بالحاجة الى ضرب من التمييز بين اطار قصص ادبي واخر يتسم بالحرية والمرونة ومسايرة العقول والامزجة والمواقف »(١) .

وهذا التحديد لمفهوم الحكاية الشعبية ينطبق الى حد بعيد على الحكاية الشعبية العراقية .

خصائص الحكاية الشعبية العراقية

١) ان ابرز ما يميز الحكاية الشعبية العراقية؛ البساطة ، لان الراوي فيها يسعى للوصول الى الهدف بسرعة وبايجاز دون لف او دوران او تطويل . « فالفعل يتحقق بسرعة بمجرد التفكير فيه او الرغبة في تحققه »(٢) ومن دون انتظار لنضج الحدث او تكامله او تجمع الدوافع والعلل لحدوثه؛ بل ان العلاقات الفوقية هي التي تحكم العلاقات بين اجزاء الحكاية معتمدة على الصدف والمفاجآت والافعال التي يتحكم فيها ما وراء الطبيعة من قدر او سحر او معجزة .

ان البساطة التي تتسم بها الحكاية الشعبية في العراق متاثرة اشد التاثر ببساطةالبيئة العراقية التي نشات الحكاية بين جنباتها ، فلو اخذنا حكاية (النصيب)(٣) على سبيل المثال لوجدنا انها متاثرة بمسالة القضاء والقدر والتي يؤمن بها المجتمع العراقي وما زال ؛ فهي تحكي لنا مرور ملك ووزيره

بكوخ بعد انتهائهما من رياضة الصيد حيث وجدا فيه رجلا كهلا وطفلا يلعب بين يديه ، قال الوزير للملك سيكون هذا الطفل زوجا لابنتك الوحيدة حديثة الولادة . ثارت ثائرة الملك لهذه النبوءة وقرر ان يمنع القدر والمكتوب فاستغل فقر الرجل الكهل واشترى منه حفيده وما ان ابتعدا عن الكوخ حتى ضربه الملك بالسيف ورماه في النهر ، لم تمته الضربة فقد كان لابسا ملابس وثيرة وقاية له من البرد ، كما دفعه تيار نهري قوي الى الشاطىء ، وصادف ان مرت ظبية فقدت وجرها فارضعته وكبر الطفل بين الغزلان ، وحدث ان خرج الملك لصيد الظباء فاصطاد الصبي مع ما اصطاد من الظباء ، وترعرع في القصر وعندما غدا شابا تعلقت به ابنة الملك وبادلها حبا بحب ، وانتهى الامر بهما الى الزواج .

بهذه القصة البسيطة الخالية من اي تعقيد والمعتمدة على الصدفة والمفاجاة اثبت الراوي من خلال الحكاية عقيدة راسخة دينيا وعقائديا وعرفيا لدى سكان العراق بان المقدر مكتوب ، والذي يكتب على الجبين يجب ان تراه العين .

٢) تبدا الحكاية الشعبية بداية تقليدية يقول الراوي (كان ياما كان على الله والتكلان) او (كان ياما كان الله ينصر السلطان) او (اكو

ماكو يا عاشقين النبي صلوا عليه) ويواصل الراوي حكايته بقوله (كان اكو فرد واحد ....) .

وابرز ظاهرة في الحكاية العراقية ، ظاهرتا التعميم والتجهيل حيث تتجنب الحكاية اعطاء حدود معينة للزمان والمكان اللذين يلعبان دورا مهما في الادب القصصي . « وكل هذه البدايات واشباهها يحاول ان يلغي الوجود الزمني للحكاية او يعميه »(٤) .

وللنهاية اهمية خاصة في الحكاية الشعبية العراقية فهي التي تقدم العظة او الحكمة او الهدف التعليمي النهائي للحكاية ، من ناحية المضمون كما ترتبط ارتباطا اساسيا بالبداية فهي التي تحل العقد الصعبة وسلسلة الاهوال التي تقابلها الشخصية منذ بداية الحكاية . والتفاؤل ، السمة الاساسية للحكاية الشعبية العراقية وتكاد جميعها تنتهي نهاية سعيدة وتكون غالبا اما الزواج او جمع الشمل المشتت ، وهي تعويض او الحلم للحياة الصعبة التي كان يحياها المجتمع العراقي في ظل الاحتلال الاجنبي الطويل منذ سقوط بغداد على يد هولاكو وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

وتتحقق النهاية السعيدة في الحكاية الشعبية العراقية بوسيلتين :

(أ) وسيلة انسانية لتمثل بذكاء الشخصية وقابليتها على التخلص من مشاكلها كما فعل (زيرك) بطل حكاية (اللغز)(٥) . فقد استطاع ان يفوز بابنة الملك بذكائه ومثابرته على الفوز .

(ب) وسيلة غيبية تتمثل في الصدف الخارقة او السحر او المفاجآت كما في حكاية (المنصف وعديم الانصاف)(٦) فقد حقق اهدافه عن طريق معرفته لغة الحيوانات وعلمه باسرار الكنز الذي الذي عثر عليه بمساعدتها ، وزاد من ثروته عن طريق النعجة الجميلة التي تحقق البركة والخير في كل مكان تحل فيه .

وتنتهي الحكاية دائما بعبارة (وعاش الجميع عيشة سعيدة) او (واجتمع الشمل بعد فراق وغربة) . يقول الراوي بعد ذلك (وحكاية كنا عندكم وجئنا ، لو بيتنا قريب لجلبت لكم حملا زبيبا) وكان الزبيب يدار على الحضور في ليالي الشتاء الطويلة اثناء رواية الحكايات . وكانت تذكر الاطعمة الاخرى التي تقدم في ليالي الشتاء اثناء رواية الحكايات « لو بيتنا قريب لجلبت لكم طبق حمص وطبق زبيب ، لو بيتنا هين لجلبت لكم طبق حمص وطبق عوين، لو بيتنا قريب لجلبت ثلاث رمانات واحدة لي وواحدة لام علي(الراوية نفسها).

مكتبتنا العربية

والثالثة لرواية الحكاية »(٧) وبين البداية والنهاية يتجسد **الحدث** ويتكون من مجموعة احداث صغيرة متسلسلة من المغامرات تتحكم فيها الصدف والخوارق ومن هنا تنبع بعض الاحداث التي تنبو عن العقل والمنطق العلميين وتدخل في اطار الاساطير والخرافات حينا والمعتقدات الشعبية في احايين اخرى لذا تتنافى احيانا مع حقائق التاريخ والسير الطبيعي لاحداث الحياة « فالحكاية لا تهدف الى ذكر حوادث التاريخ بقدر ما تهدف الى التعبير عن رأي الشعب وآماله ازاء حوادث عصره ، ومما يؤكد ذلك أن الحكاية لم تهتم بذكر حادثة تاريخية محددة وانما اهتمت اكثر من ذلك بالقاء الضوء على العصر في صورة كلية»(٨) وان جاءت الاحداث في اغلب الاحيان مستوحاة من واقع معاش ، او من واقع مؤلم لا يمكن التخلص منه الا عن طريق الحلم الذي يتراءى واضحا في الحكايات الشعبية العراقية . كما يمكننا ان نستوحي من خلال الحكاية الشعبية العربية بعامة والعراقية بخاصة اهتمام الشعب العربي الروحي والاجتماعي بحوادث عصره في كل حقبة من تاريخه فقد عبر عنها من خلاله روايته للحكاية الشعبية : تتمرجح الحكاية بين الخوف والامان ، وبين الرهبة والاطمئنان فما ان ينتهي بطل الحكاية من مشكلة

ويصل بر الامان حتى يقع بما هو اشد منها نكالا وهكذا حتى ينتهي الى النهاية السعيدة ، وتحسن الحكاية الشعبية تعاقب الخوف والرجاء في توقيت يشد القارىء الى الحكاية ويندمج بها حتى النهاية والسامع في الغالب لا يكتفي بحكاية واحدة بل هو يسعى الى حكاية اخرى ، وكلما طالت الحكاية وكان الراوية حاذقا في روايتها كلما استطاعت ان تشد السامع بقوة اكبر(٩) .

٣) وتعمد الحكاية الشعبية العراقية الى التوقيف الزماني فالحدث يتعلق بظرف معين فاذا لم يحدث ذلك الظرف كان من المستحيل وقوع الحدث وبالتالي من المفروض ان تنتهي الحكاية ، لذا فهي تعتمد في اتمام الحدث على ظروف مستقبلية قد تكون فوق مستوى البشر وقد تعتمد على قوى غيبية وسحرية فوق طاقة الانسان احيانا وفي اطار القدرة الانسانية الذكية القادرة اصنع المستحيل بما تمتلكه من طاقة باهرة الوصول الى هدفها ، ففي حكاية (الخيارات الثلاث)(١٠) مثلا ، نجد ان ملك البلاد على الرغم من كل العظمة التي تحيط به لم ينجب ولدا يجلس على العرش من بعده فاصابه الغم والحزن وانطلقت زوجته تدعو الله ان يمنحها ولدا يدخل السرور والبهجة في الدار ونذرت ان رزقت بولد ان تجري في المدينة ساقية

من عسل وساقية من دهن . وكان الله استمع الى دعائها وقبل نذرها فرزقت بولد ادخل السعادة الى قلب والده والى قلوب الرعية ولكن والدته نسيت النذر فما ان شب وترعرع حتى اخذ يلح عليه حلم معين وباستمرار ، يرى فيما يرى النائم شيخا وثورا يطلب اليه ان تفي امه بنذرها ، وفي المرة الاخيرة بدا الشيخ منزعجا وهو يطلب اليه ان تفي امه بالنذر ، قص حلمه على امه فتذكرت نذرها واجرت ساقيتين من العسل والدهن في المدينة ، هرعت النسوة لملء جرارهن ، وكان ابن الملك عابثا لاهيا نتيجة للدلال والرعاية العظيمة والحب الشديد الذي اولاه به ابواه ، راى ابن الملك عجوزا تملأ جرتها من العسل والدهن فضرب جرتها بحصاة كسرتها وسال ما فيها . كان في الامكان ان تنتهي الحكاية الى هذا الحد ، ولكن الحكاية لم تصل هدفها في الشد والتاثير ، في الترغيب والترهيب فمضت الى منعطفها المبغي .

فاذا بالمراة ساحرة دعت على ابن الملك بحب الخيارات الثلاث واذا بسهم الحب يصميه ، يزمع الشاب البحث عن الخيارات الثلاث ليحصل عليها لانه لم يعد يستطيع الحياة بدونها ، جهزه والده للسفر وهو يغالب اسياد لما اصاب ولده من سحر ، وفي الطريق راى كوخا وسط غابة فاذا بشيخ

وثور يطلب اليه ان يحكي قصته ، فحكى له عشقه للخيارات الثلاث فاعطاه خاتما وطلب اليه ان يفركه عند دخوله الغابة التي فيها الخيارات فتظهر له فرس سريعة يستبدل بها فرسه ، ويسرع في تطوف الخيارات الثلاث . شكره ابن الملك وانصرف ونفل ما اوصاه به الشيخ وما ان خرج من الغابة واطمان من الملاحقة حتى كسر الخيارة الاولى فخرجت منها فتاة سبحان من خلق وصور ، طلبت اليه ان يسقيها ماء ، فلم يجد الماء حيث كان يسير في قفر اجرد فذوت الفتاة وجفت ومالت ، وحدث الشيء ذاته مع الخيارة الثانية ، لذا قرر ابن الملك الا يكسر الخيارة الثالثة الا قرب نبع ماء . وما ان كسر الخيارة الثالثة وطالبته الفتاة بالماء حتى رماها في العين فازدادت جمالا وريعانا . فرح بها فرحا شديدا واخذها الى والده ففرح الجميع بعودته وسلامته وازدادت الافراح بزواجه من الفتاة والمولود الجميل الذي ولدته له .

وكان في الامكان ان تنتهي الحكاية عند هذا الحد ايضا حيث تؤكد لنا الحكاية الحب المقدر على الانسان والذي لا محيص عنه . كما تؤكد من خلالها الصعوبات التي تعترض الرجل حتى يعثر على شريكة لحياته ، وهي تعلن ان السعي الدائب للحصول على ما يريده الانسان من الممكن تحقيقه

اذا لم يتوان الانسان في سعيه واذا بذل فيه جهدا مناسبا . كما تبين لنا الحكاية من ان على الانسان الا ييأس ويحزن فالقدر يخبىء له دائما العون والمسرات . فانجب الملك بعد يأس ، وعاون الشيخ الطيب ابن الملك للوصول الى الخيارات الثلاث . وكان واضع الحكاية لم يكتف بكل ذلك فاذا بالحكاية تاخذ مسارا جديدا عليها ، وتعطي اهدافا اخرى لتثير مشاعر السامعين وهي متأثرة بمعتقدات معروفة في العراق وان لم تكن اصيلة فيه كتناسخ الارواح والايمان بالسحر ، فتستمر الحكاية على المنوال التالي ، تخرج فتاة الخيارة ذات يوم الى النهر مع ولدها الصغير وخادمتها ، تنظر الخادمة السوداء الى النهر وهي تحمل طفل سيدتها وينعكس وجه سيدتها على النهر فتتصور انها قد اضحت فتاة جميلة وتخلصت من بشرتها السوداء ، فما ان التفتت ورأت سيدتها وراءها حتى قتلتها ورمتها في النهر فتحولت قطرات دمها الى حمامة وقفت فوق غصن الشجرة . عاد ابن الملك من الصيد فراى امراة سوداء تحمل طفله ، اوحت اليه بانها تحولت الى عبدة صدق ابن الملك ولم يكن يهمه شكلها قدر اهتمامه بحبه لها . اطمانت العبدة وعاشت سعيدة مع ابن الملك ولم يظهر عليه اي تغير تجاهها ولكن ما كان يقلقها حقا هو هديل

الحمامة وكانها خشيت ان تبوح الحمامة بسرها . فطلبت الى ابن الملك ان يذبح الحمامة ويقدمها لولده فهي دواؤه الوحيد للشفاء من مرضه ، صدع ابن الملك بامرها وما ان لامست قطرات دم الحمامة الارض حتى نبتت شجرة باسقة ، طلبت العبدة ان تقطع الشجرة وتشمل ، فتحول رمادها الى دجاجة ، اعطتها الى جارة عجوز ، وعندما كانت العجوز تخرج الى السوق في الصباح تخلع الدجاجة جلدها فتظهر فتاة الخيارة الجميلة ، ترتب الدار وتعد الطعام وعندما تعود المراة العجوز تجد ان كل شيء جاهز ، وذات يوم عادت قبل ميعادها ولم تستطع فتاة الخيارة ان تلبس جلد الدجاجة ، قصت قصتها على العجوز فاسرعت بدورها الى ابن الملك تحكي له الحقيقة ، وهكذا عادت فتاة الخيارة الى زوجها ابن الملك واجتمع شمل الحبيبين وامر ابن الملك بقتل العبدة واولادها الثلاثة منه . وكان خيال الراوي اراد ان يدخل الغيبيات وما هو فوق طاقة البشر في الحكاية ليضمن انجذاب السامعين لها فكان التناسخ ، والحسد الذي يدفع الى القتل كما فعلت العبدة بفتاة الخيارة ، بل الحقد الذي يدفع ابن الملك لا الى قتل زوجته العبدة فقط بل الى قتل اولاده منها وهذا فوق ما يستطيعه الانسان ، فلا يستطيع ان يقتل اولاده الا انسان

قد قلبه من الحجر فكيف بانسان عاشق رقيق القلب كابن الملك يضحي بكل شيء في سبيل الوصول الى حبه ؟.

٤ ــ **ان منطق الحكاية الشعبية العراقية يعتمد على حيوية الانسان وسعيه للوصول الى** تحقيق هدفه ، وصبره على الالام والشدائد وعندئذ يحظى بمعاونة الطبيعة له بما فيها من بشر وحيوان ونبات وجماد تحمل بها قوى سحرية تحركها للوقوف الى جانب الساعين الجادين احيانا والمظلومين التعساء في احايين اخرى وتردع الظالمين القساة والمتقاعسين الجبناء .

٥ ــ وتلعب المراة دورا كبيرا من خلال الحدث فهي تتمتع بجمال باهر اخاذ وهي الهدف الذي يسعى البطل للحصول عليه ومن هنا توضع المراة وسط هالة عظيمة تبلغ درجة التقدير والتسامي ، وهي بالتالي الهدف الاساس للحياة فبوجودها يتم الزواج وتاخذ الاسرة وحدتها المتكاملة . وهي الوحدة الاجتماعية التي ينظر اليها المجتمع العراقي نظرة تقديس واجلال وتحقق هدفا من اهداف الدين وهي التي يسعى اليها البطل بحدوه جده وذكاؤه او قوى سحرية فائقة تساعده على اجتياز الاهوال والمخاطر اما اذا ما بدت المراة عجوزا قبيحة

فلا يقتصر قبحها هذا على شكلها الخارجي فقط بل ينعكس على داخلها ، فهي اما ساحرة او شريرة لا تريد السعادة لاحد . ويأخذ بطل القصة اسمه دائما من الاسماء الشائعة في العراق وفي الغالب يكون الاخ الاصغر لاولاد ثلاثة واسمه في الغالب (محمد)(١١) يتصف بكل خصائص مكارم الاخلاق ويكون شخصية ناصعة البياض في كل شيء فيه بينما يتصف اعداؤه دائما بصفات خلقية سيئة اذا كانوا من البشر وبصفات بشعة اذا كانوا من السحرة او الحنافيش او الداميات او الديوات .

وقد تأخذ الشخصية اسمها من اسم المهنة او الصنعة التي تمارسها الشخصية .

٦ ــ ولان القصص الشعبي العراقي يعتمد التاثير في المشاعر وتراوحها بين الخشية والرجاء فقد ظهر فيها مبدأ القدرة والعجز واضحا كل الوضوح ، فيصاب الشخص القوي القادر وهو في الغالب شرير بضعف غير مبرر في بعض المواقف ، ويعطى الضعيف وهو في الغالب خير وطيب وبريء قوة غير مبررة ليحقق الانتصار ، وما يحدث هذا الا للوصول الى الهدف المنشود وتحريك الاحداث الى تلك الغاية المرجوة(١٢) .

وتعتمد الحكاية الشعبية في احداثها على

خطف فتاة من قبل الحنانيش وسعي البطل الى تخليصها والزواج منها ، أو يغامر البطل من اجل اثبات وجوده لتحرير الفتاة المخطوفة . ويعود السبب في ذلك الى كثرة خطف الفتيات في العراق في القرون السابقة حتى ان عملية الخطف للزواج من المخطوفة عادة متبعة في كثير من القرى العراقية يلجأ اليها العاشق في حالة عدم موافقة اهل الفتاة على اعطائها له بل هي عادة متبعة في احتفال الزواج وقد انقرضت منذ سنين قليلة ، أن الزوج يخطف زوجته ويأخذها الى الدار وسط احتفال رسمي كبير . كما يأتي الحلم او النبوءة او السحر او كشف الغيب كوسيلة لتطوير الحدث وايصاله الى النهاية وما هذه الوسائل الا تعويض عن الواقع المؤلم الذي كان يعيشه الفرد العراقي في مجتمعه فهو يسعى الى تبديل هذا الواقع لا بالعمل الفعلي فحسب بل بالانسراح وراء حلم او قوة فوق مقدور البشر وقد كان للسحر والتنبؤ والكشف اهمية كبرى واعتقاد راسخ في نفوس الناس البسطاء المسحوقين

اما اللغز الذي يحتاج الى الحل فقد شاع في الحكاية الشعبية العراقية وهو لا يأتي لشحذ الذهن واختبار المقدرة العقلية فحسب بل هو

عنصر مهم لتطوير الحدث في الحكاية وايصاله الى هدفه الاخير .

والسبب في شيوع اللغز والعقدة التي يبدو لا حل لها واذا بها تحل بسهولة ويسر عن طريق المصادفة او السحر أو القوى الخارقة نتائج عن ان الكون كان يبدو لغزا امام القصور الثقافي والحضاري لسكان العراق في فترة الركود والتخلف ولما كان العقل لا يستطيع كشف لغز الحياة والفناء فقد لجأ الى الخوارق والغيبيات والسحر لكشف ابعاد الكون الذي بقي لغزا يصعب حله على عقول الناس السذج الا عن طريق قوة فوق مقدور البشر.

اثر البيئة العراقية في الحكاية الشعبية :

اذا اردنا استقصاء اثر البيئة العراقية في مضامين ووظائف الحكاية الشعبية في العراق بعد ان اوضحنا اثر البيئة في بناء الحكاية الشعبية العراقية ، علينا ان ندرسها من جوانب ثلاثة : تاثير المعتقدات الشعبية عليها ، وتاثير المواصفات الاجتماعية والعلاقات بين الافراد والجماعات وتاثير الجانب النفسي الشعبي على هذه الحكايات .

اولا : الحكاية العراقية والمعتقدات الشعبية :

لقد وجد الانسان في هذا الكون وهو ضائع بين الوجود والفناء يريد حلا وتفسيرا لظواهر عدة

دون جدوى ؛ لقد اخافته الطبيعة بغموضها واسرارها ؛ فعبد ظواهرها في الديانات العراقية القديمة كالسومرية والاكدية والبابلية والاشورية وآمن بالهة متعددة اعطاها قدسية خاصة . واحتل الملوك والرؤساء قدسية مستمدة من قدسية الاله. وقد احتل رؤساء العشائر والقبائل والاسر مثل هذه القدسية ايضا وبقيت ظاهرة تقديس الاجداد واحاطتهم بهالة من الاجلال والسمو الى يومنا هذا.

وقد حاول الانسان العراقي ان يتحدى هذا اللغز الكبير للكون فبنى حمورابي الجنائن المعلقة وبنى غيره برج بابل ليكتشفوا اسرار السماء وذهب كلكامش الى العالم السفلي ليحصل على عشب الخلود . وعندما فشل في ذلك سعى لمقاومة ضعفه تجاه الطبيعة فآمن بالسحر والسحرة ، اولئك الذين يفعلون الخوارق والاعاجيب واكدت الكتب المقدسة التي آمن بها اهل العراق مفعول السحر واثره ، كما اكدت معتقدات القدماء بوجود الجن والعفاريت . ورسخت بعض المعتقدات العراقية القديمة في ضمير الانسان العراقي . وانعكست في الحكايات التي رواها ذلك الانسان وصدرت عن مكنونات ذاته وقد تحددت المعتقدات الشعبية المنعكسة على الحكاية في الظواهر التالية :

(١) القضاء والقدر :

لقد آمن الفرد العراقي بالقضاء والقدر ايمانا تاما منذ اعتناقه الديانات القديمة وزاد هذا الايمان بالقضاء والقدر بعد نزول الكتب السماوية واعتناق العراقيين لليهودية والمسيحية والاسلام بعد ذلك . وقد اختلطت بعض المعتقدات الدينية القديمة بالديانات المرسلة . وزاد في تشابكها الجهل الذي خيم على الفرد العراقي طيلة ما يقارب العشرة قرون بين سقوط بغداد على يد هولاكو ونهاية الحرب العالمية الثانية حيث بدا الوعي يستيقظ والحضارة العربية الاسلامية تنهض بعد ركود بالاضافة الى الفكر والحضارة الاوربيتين اللتين بدأتا تفزوان المجتمع العراقي . وبدأت النهضة الفكرية والثقافية بشكل حاد وايجابي . وقد انعكس هذا الايمان بالقضاء والقدر على الحكايات الشعبية فبناء الحكاية يحكم بضربة من القدر او مفاجأة بما هو مقدر وحكاية (النصيب) التي سبق ذكرها خير دليل على ذلك ، وكذلك حكاية (الامير نور الزمان والاميرة فتيت الرمان)(١٢) فقد قدر على الامير حبها دون ان يكون له مناص من ذلك ؛ لقد ضرب القدر ضربته وكتب في اللوح المحفوظ ان يتزوجا فهو يقاسي الاهوال والمشاق حتى يفوز بها

(٢) وتظهر عقيدة تناسخ الارواح الى جانب عقيدة القضاء والقدر كما في حكاية (الخيارات الثلاثة) الانفة الذكر فقد سكنت الفتاة في خيارة فاذا ما كسرت الخيارة ظهرت الفتاة عطشى واذا ما ارتوت بالماء اينعت وازهرت ، وعندما تقتلها خادمتها العبدة تتحول الى حمامة وعند ذبحها تتحول الى شجرة واذا ما قطعت الشجرة واحرقت تحولت الى دجاجة ، تخلع جلدها فتعود فتاة الخيارة الاصلية وفي حكاية (القصر المسحور)(١٤) يتحول الشاب الى عصفور ، تتبعه الفتاة التي سكنت القصر لانه زارها في احلامها فاذا بـ شاب جميل وبعد ان يخلع جلد العصفور تقع الفتاة في غرامه . وقد تتحول الفتاة الى ظبية فاذا ما ارادت ان تعود الى حياتها الطبيعية خلعت جلد الظبية وعادت فتاة كما في حكاية (الجنية التي لبست جلد الظبية)(١٥) .

ولا تظهر فكرة الحلول والتناسخ في اشكال متعددة فقط فقد تأخذ صورة اخرى حيث يودع الساحر روحه في جسد كلب فاذا اراد احد ان يقتل الساحر ، عليه ان يقتل الكلب والا لما اثرت فيه ضربة السيف كما في حكاية (الشيخ الساحر)(١٦) .

وخير حكاية تربط بين القضاء والقدر والتناسخ

حكاية (الثاني عشر)(١٧) ، رزق الملك بولد قرت به عيناه اسماه الثاني عشر ، طلب الملك الى اولاده وهو يحتضر ان يضعوه على ناقة ويدفنوه في المكان الذي تقف فيه ، ففعلوا ، احتاجوا الى نور لدفن والدهم ، فرأى الثاني عشر نارا على بعد فقصدها، رأى مخيما لاعراب ، هشوا به وتلقوه مرحبين واخبروه ان ملكهم مريض لان ابنته خطفها غول وقد قالت لهم الساحرة التي استخاروها ، لقد كتب ان ينقذها شاب غريب فارس طارق واعطت الساحرة اوصافه ، وبدا للاعراب ان هذه الاوصاف تنطبق على الثاني عشر ، فوعدهم خيرا بعد ان يدفن والده . ذهب الثاني عشر الى ارض الغيلان فوجدهم في القصر الكبير الذي يسكنونه وكانوا نياما ، وبعد ان فتش عن الفتاة وجدها في غرفة عليا وقد نام الغول على فخذها ، تقدم لقتله فاخبرته الفتاة بالا فائدة من قتله لان روحه خارج جسده فقد وضعها في ثلاث دودات ووضع الدودات في قرن غزال أجرب ، ذهب الى الغابة ، قتل الغزال واقتلع قرنه وجاء به الى الغرفة التي ينام فيها الغول كسر القرن وفرك الدودات الثلاث فمات الغول ، انقذ الثاني عشر الفتاة واخذ كنوز الذهب والاحجار الكريمة ففرح به الجميع ، وعقد قرانه على الفتاة ، وحكم قومه فقد كان شعبه في

انتظاره لانه اميرهم المحبوب والمفضل على بقية اخوته .

ان عقيدة القضاء والقدر بالاضافة الى انها عقيدة اسلامية ، آمنت بها الديانات العراقية القديمة اما التناسخ فهو عقيدة منافية للاسلام فكيف دخلت الحكاية الشعبية العراقية واصبحت انعكاسا لمعتقدهم دون ان يشعروا بذلك . ان السبب جلي واضح لقد آمنت المزدكية والمانوية والبرهمية والبوذية بذلك وانتقلت الى العراق عن طريق بلاد فارس خاصة وان الفرس اتخذوا من العراق مركزا لحكمهم كما هو معلوم في مدينة (المدائن) والتي تعد ضاحية من ضواحي بغداد .

(٣) مما حير الانسان بشكل عام وحير الانسان العراقي كذلك مسالة الفناء والموت فقد خاف الانسان الموت وارتبط العالم السفلي الذي كان سائدا في الديانات العراقية القديمة بفكرة الفناء ، وارتبط النزول الى العالم السفلي بالبطولة والشجاعة والذكاء والقدرات الفائقة وربط ذلك ببطل شجاع مثل كلكامش ففي حكاية (الملك والحشيش السحري)(١٨) ، يخرج الملك واولاده الثلاثة الى الصيد فيصيبون صيدا وفيرا ، فبينما هم في طريق العودة تهب عليهم زوبعة عظيمة فيصاب

الملك بالعمى من جرائها ولا يفيد معه نطس الاطباء وتوصف له حشائش شجرة وراء البحار السبعة فيهب اولاده الثلاثة للبحث عن الشجرة فاذا ما وصلوا مفترق طرق ثلاث ، اقترح اصغرهم (محمد) ان ياخذ كل واحد منهم سبيلا له ؛ يمضي محمد في طريقه فيرى شجرة ظليلة وعشبا فينام مستريحا بينما يرعى حصانه في الحشائش . يستفيق محمد على صوت فحيح عال لافعى عظيمة تلقت الشجرة لتلتهم صغار الطير ، جرد حسامه وقتلها بعد صراع مرير ، وعندما عاد الطير شكر محمدا وطلب اليه ان يتمنى ، فاخبره محمد بقصته للوصول الى الشجرة السحرية ، هون الطير عليه الامر وحمله على ظهره وطار به وراء البحار السبعة وعاد بعشب الشجرة وفي طريق عودته عطف الى مطعم في الطريق فوجد اخويه يخدمان هناك وانهما قد فشلا في الوصول الى الشجرة حيث ذهبا في طريق (الصد ما رد) .

وفي طريق العودة الى القصر احتاج الاخوة الى الماء فنزل محمد ليستقي الماء من البئر ، قطع اخواه الحبل ووضعوا ايديهما على الدواء ، وعادا الى قصر والدهما الملك .

سمع محمد وهو في قاع البئر صوتا خفيا

يخبره بانه سيأتيه كبشان فاذا مسك بالاسود منهما نزل الى العالم السفلي واذا مسك بالكبش الابيض صعد الى سطح الارض ، سمع محمد صوت كبش فتعلق به ، واذا به ينزله الى العالم السفلي ، حيث المدينة ساكنة والناس شاحبون وكانها مدينة اموات فالكل تعساء اشقياء ، ثم علم ان في المدينة غولا يسيطر على مورد الماء فيها ولا يسمح لهم بالاستسقاء الا ساعتين فقط مقابل طعام وفتاة تقدم له كل يوم . يذهب محمد الى الملك ويعده بقتل الوحش وكانت ابنة الملك هي الضحية في ذلك اليوم ، تزور محمد سنة الكرى وهو في انتظار الوحش ، وعندما يخرج الوحش من كهفه يخلع قلب ابنة الملك خوفا فتبكي ، وتتساقط دموعها الساخنة على وجه محمد فيستيقظ ليدخل مع الوحش صراعا رهيبا ينتهي بموت الوحش وبعودة الماء الى المدينة وتعود معها السعادة ، ويتزوج محمد من ابنة الملك ، يشتاق محمد لابيه فيوصله الملك الى اهله ويستقبل من الجميع بفرحة غامرة ويحس اخواه بالفشل والخزي على فعلتهما النكراء . ومثل هذه الحكاية في النزول الى العالم السفلي حكاية (الملك واولاده الثلاثة)(١٩) ، ان عقيدة الموت والهبوط الى العالم السفلي هي عقيدة الديانات العراقية القديمة استمرت في وجدان

الشعب فانعكست على شكل حكاية .

وقد تاخذ قصة النزول الى العالم السفلي شكلا رمزيا فتدخل بطلة الحكاية في جوف زوجها كما في حكاية (آغات اوف)(٢٠) عزم الوالد التاجر ان يسافر الى بلاد الشام للتجارة وعرض على بناته الثلاث طلباتهن ، فطلبت الكبرى ثوبا والوسطى ازارا اما الصغرى فطلبت ثوبا من اللؤلؤ يوضع في قشرة جوزة . وفي طريق العودة تذكر التاجر انه نسي طلب ابنته الصغرى فجلس حزينا كسيف البال ، وبينما هو في حاله جلس الى جانبه شخص غريب وسأله عما يحزنه فقص عليه حاله فطمانه الرجل الغريب ، وفي مثل لمح البصر كان ثوب اللؤلؤ في قشرة جوزة بين يديه فرح به الاب وشكر الرجل الغريب ، ولكن الغريب قال له بلهجة حازمة ، مقابل ما اعطيت ساخذ ابنتك زوجة لسيدي وساوافيك في الساعة السابعة من مساء اليوم السابع من الشهر القادم لاخذها الى سيدي، واذا اخلفت وعدك فالويل لك والثبور . هم التاجر بارجاع الثوب ولكن الغريب اختفى تملك الاب غم شديد ولكن القدر ضرب ضربته ولا مناص من مخالفته . وفي الساعة السابعة من مساء اليوم السابع جهز التاجر ابنته الصغرى ووضعها فوق السطح ، فانتشرت غيمة اظلمت السماء وانتشلت

الابنة وطارت بها بعيدا. نزلت الفتاة في قصر عظيم فيه كل ما تشتهي النفس وتتمناه ، الخدم يسعون بين يديها يلبون طلباتها وفي اوائل الليل يقدم لها الخادم شرابا يبعث في نفسها النشوة ويسلمها الى احلام لذيذة . مرت اشهر عدة احست الفتاة احاسيس امراة حامل ، وكان الخادم احس حيرتها وسامها تقرر ان يعيدها الى اهلها لتراهم وتقضي معهم اياما . دهش اهلها من الهدايا الكثيرة التي جاءت بها واحست امها بحملها فسالتها عن زوجها فاخبرتها الابنة بانها لم تتزوج ولا تعرف لها زوجا، انما هو النوم الذي يستولي عليها وينقلها الى عالم سحري بهيج من الاحلام بعد تناول الشراب ، فنصحتها امها ان تضع قطنا عند جيب ثوبها وتسكب الشراب عليه لتبقى مستيقظة ولترى ما يحدث . صدعت الفتاة بطلب امها وتظاهرت بالنوم وبعد قليل دخل شاب جميل الغرفة استلقى الى جانبها على السرير ، وبعد ان نام راحت الفتاة تتملاه بامعان فلاحظت قفلا على سرته فتحت القفل فاذا ببطنه تفتح نزلت فيها قرات مدينة كبيرة فيها دكاكين واسواق راحت تطوف فيها وتسال ... الى اخر الحكاية .

ان دخول الفتاة في بطن (اغات اوف) شبيه بنزول محمد في القصة السالفة الى العالم السفلي

انه العالم المسحور الغريب الذي وقف الانسان ازاءه حائرا .

وبعد انتشار الدين الاسلامي في العراق انعكست العقيدة الدينية في ضمير الشعب فرويت حكايات عن الموت ارتبطت بعزرائيل ملك الموت كما في حكاية (صديق عزرائيل)(٢١) ، راى طبيب فقير وهو في طريقه رجلا مربوطا الى شجرة ، فك وثاقه واعلمه بانه عزرائيل ، قدم عزرائيل مساعدته لمنقذه فاعطاه مسحوقا ابيض وطلب اليه ان يعطي من هذا المسحوق للمريض الذي يراه جالسا عند رجليه لانه لن يقبض روحه . ويمتنع عن معالجة المريض الذي يراه جالسا عند راسه لانه سيقبض روحه حتما . ذاعت سمعة الطبيب وتدفق المال بين يديه ، عالج ابنة الملك المشرفة على الهلاك وشفاها . وزوجها الملك من الطبيب اعترافا منه بانه اعاد ابنته الى الحياة . المت بالطبيب ذات يوم وعكة فاذا بعزرائيل يجلس عند راسه فعلم ان منيته قد حانت . لم تفد توسلاته لعزرائيل ، لذا قرر ان يحتال عليه ، طلب اليه ان يمهله حتى ينتهي من صلاته ، واخذ عليه قسما وثيقا بالا يقبض روحه الا بعد ان ينتهي من طلبه الى الله بان يغفر له ما تقدم من ذنوبه . وبعد ان تاكد الطبيب من العهد الذي اخذه على عزرائيل امتنع

عن الصلاة ، وعاد عزرائيل خائبا كاسفا . مضت الايام وترعرع ابن الطبيب وطلب اليه ان يعلمه الصلاة ، وما ان انتهى الطبيب من تعليم ابنه الصلاة حتى وجد عزرائيل فوق راسه ، لقد تحلل من عهده وقبض روح الطبيب .

تؤكد هذه الحكاية مسالة القضاء والقدر كما تصور الموت يخبط خبط عشواء دون تدبر . وان الانسان مهما اوتي من قدرة الاحتيال ومهما استعمل ذكاءه وقابلياته المتعددة فهو خاضع للموت لا محال ..

(٤) لقد حاول الانسان ان يعرف اسرار الحياة ويبقى مخلدا ، لقد حاول كلكامش ذلك لانقاذ صديقه انكيدو ولكنه فشل كما فشل جميع البشر في محاولتهم تلك . لذا انتشرت عند العرب في عصور ما قبل الاسلام عقيدة ان الروح اذا ما انفصلت عن جسد صاحبها بقيت هائمة . وتولد ذلك الاعتقاد بان الارواح تحوم في المقابر او في الاماكن التي نشات فيها وترعرعت وان القتلى تبقى ارواحهم في اماكن ارتكاب جريمة قتلهم ، وهذه المعتقدات ما زالت عالقة في ضمير الانسان العراقي يعتقد بها حتى يصعب على الانسان ان يقطع مقبرة في الليل خشية من اصطدامه بالارواح الهائمة

وشاعت فكرة البيوت المسكونة بالارواح . واذا ما اشيع حول دار بانه مسكون ينفض عنه الناس خوفا وهلعا بل ان الدور المهدمة العتيقة او المهجورة ما زال الناس في العراق يعتقدون بانها مسكونة لذا يسرعون الخطى في الليل اذا ما مروا من قربها ويقراون آية الكرسي ليبعدوا عنهم الاشباح والارواح . وقد انعكست هذه المعتقدات في ضمير الانسان العراقي وتحولت حكايات تروى وتثير الهلع في نفوس السامعين ، لذا كنا نسمعها كثيرا من جداتنا وامهاتنا اذا ما امتنعنا عن النوم في ساعة مبكرة من الليل فنهرع الى فرشنا خائفين متوجسين وربما امتنع علينا النوم ولكننا لا نصدر اية نامة خوفا من الارواح والاشباح وقد كثرت حكايات الاشباح والارواح في العراق مثل حكاية (القصر المسحور) الانفة الذكر وحكاية (الرجل الذي لا يعرف معنى الخوف)(٢٢) ، كان (شجاع) لا يعرف الخوف ، ذهب ذات مرة الى مدينة اخرى لعمل عليه قضاؤه فلم يجد مكانا خاليا في خانات المدينة يبيت فيه فدله اهل المدينة الى قصر ينزل فيه الاغراب فلم يجد غير غرفة واحدة شاغرة لانها مسكونة ومن يبيت فيها يموت في ليلته . ولكن شجاعا لم يلتفت لتحاذير صاحب القصر . وفي منتصف الليل خرجت عليه جثة مقطوعة الراس

وسرعان ما جاء الراس ليستقر فوق الجثة ، اخبرته الجثة بانه صاحب القصر وقد ذبحته زوجته وخادمه في هذه الغرفة ودفنوا جثته في الحديقة وعندما شاهدوا كلبه يعوى باكيا قرب الحفرة التي دفن فيها قتلوا الكلب ايضا ، الحت الروح على شجاع ان ياخذ بثارها من زوجته وخادمته وهددته الجثة بانه اذا لم يفعل ستكون نهايته على يدها .

ذهب شجاع في الصباح الى صاحب الشرطة واخبره بما راى وسمع فارسل معه معاونه ليتاكد من قوله وفي منتصف الليل خرجت الجثة مطالبة بالثار وبلهجة اشد وتهديد اقوى . حتى كاد معاون الشرطة ان يموت هلعا كما مات من الخوف من بات في هذه الغرفة ورای الشبح من قبل . اجرى صاحب الشرطة التحقيق واخرج الجثة وحكم على الزوجة والخادم بالموت . عاد شجاع الى مدينته وقد عرف الخوف لاول مرة في حياته .

وفي حكاية (الاشباح الثلاثة الابيض والاسود والاحمر)(٢٢) ، تطالب الاشباح الثلاث بالثار والانتقام من روح الملك الذي دفن حديثا والتي ازهق ارواحها فيما مضى من الزمن ، لذا يطلب الملك من اولاده ان يحرسوا قبره ثلاث ليال بعد

وفاته وكانه يخشى انتقام الارواح التي ازهقها وفي الوقت الذي يمتنع الاخوان الكبيران ، يسهر الاخ الصغير (محمد) مرافقا عن روح والده ثلاث ليال ويقلب الاشباح (الارواح) الثلاث الابيض والاسود والاحمر ، ويترك روح والده مستقرة ذاهبة الى ربها ، اما تحديد الليالي بثلاث فذلك ناتج من الاعتقاد الشعبي بان الروح تبقى ثلاثة ايام هائمة حول مكان نشاتها ومدفنها وفي نهاية الليلة الثالثة تصعد الى السماء .

(٥) الخوف من المجهول ، أقض مضجع الانسان ، وفكر الانسان العراقي عبر العصور التي سكن فيها البشر هذه البقعة فقد خاف المجهول وخشاه اشد الخشية . لان الفناء يكمن في المجهول ويحمل هذا المجهول في حناياه الكوارث والمصائب والامراض والموت ، لذا انطبع الخوف منه في ضمير الفرد العراقي وانعكس حكايات ترويها الاجيال وفي العراق حكايات كثيرة تدور في هذا الاطار مثل حكاية (العصا السحرية)(٢٤) وحكاية (السعلوة العاشقة)(٢٥) ، وفيها تهب عاصفة شديدة تفرق القرية ومن فيها ، هرب من هرب ، ومات من مات ، واستيقظ الشاب بطل القصة على نداء امراة ، ظنها ابنة عمه قد انقذته وذهبت به بعيدا عن الطوفان ولكنه ما ان استيقظ حتى ادرك بانها

(سعلوة) ارتعد خوفا منها وعزم على الهرب ولكنها هددته بالموت ان فعل ، سجنته في الغار طوال النهار ومع الليل تاليه بالصيد ، استطاع ان يهرب ذات يوم في غفلة منها وحمله التيار الى جزيرة نائية ، تزوج فيها وانجب ولكنه كان يحس بالوحشة والسام وكانه انسان منفي في هذه الجزيرة النائية . ركب زورقه واذا بالموج يبعده عن الجزيرة وبعاصفة ترميه بعيدا على ساحل جزيرة اخرى ، وبينما هو يفتش عن طعام اذا به وجها لوجه امام (السلعوة) زوجته الاولى ، هجمت عليه لتنتقم منه ، ولكن حبها له تيقظ ، اخذته الى مغارتها وحبسته هناك ولم تدع له مجالا للهرب ، انجبت منه ولدا استوى على خلقته ، ترعرع الطفل واشتد ساعده واغراه والده ذات يوم بقتل امه خشية من ان تلتهمهما اذا عز الطعام . نفذا معا الخطة وهربا من الجزيرة الى الجزيرة الاخرى حيث زوجته واولاده في الانتظار .

ان المجهول هنا يتجسد باشكال عدة ، الطوفان المفاجيء ، وانقاذ السعلوة لبطل الحكاية وحبها له، هروبه في زورق وسط عباب البحر ، وصوله الى جزيرة نائية ليتزوج وينجب ، حمل التيار البحري له الى جزيرة اخرى ليصادف هناك السعلوة مرة اخرى ، ان يولد له ولد على شاكلته الادمية لا على

شاكلة (السعلوة) الحيوانية تقتل السعلوة والاحساس بالحرية .

ان هذا المجهول المتمثل بالعاصفة والطوفان والسعلوة استطاع بطل الحكاية ان يتغلب عليه ، انه التعويض عن العجز الذي يحس به تجاه هذا المجهول فروى حكاية الانتصار هذه ، ولكن الاخفاق امام المجهول يكون هو الغالب في الحكاية العراقية الشعبية كما في حكاية (انازكية)(٢٦) ، فاذا ما اضاعت الفتاة الطريق واظلم الليل وهب اعصار شديد ولجات زكية الى قبة تتظلل بها من المطر وتتقي الاعصار صاح بها صوت مخيف (من الواقف على قبة السليل) . فتجيبه مرتعشة (انا زكية اختي مكية طردتني في ظلام الليل) فيجيبها الصوت (لا تخافي مني خافي من صاحب القرنين) . فتهرب الى مكان آخر تتظلل به فينبعث من المجهول صوت اشد واعتى ، وهكذا تركض زكية مذكورة من مكان الى اخر حتى يلتهمها صاحب القرون السبعة . لقد كانت هذه الحكاية تبعث في انفسنا الرعب ونحن صغار ولا نستطيع ان نجد في خيالنا صورة ذلك المجهول الذي ينبعث صوته من اللامكان ويتردد عبر الافق مهددا هذه الفتاة الصغيرة الضائعة .

ونتيجة لهذا الخوف من المجهول استقر

الانسان بعد شيوع الاديان السماوية واتجه الى الله يطلب منه العون والرحمة ويدعو اليه خاشعا ان يصونه مما في الغيب ويحميه من (الغائلات) واما الغافلات فهذه غير ما يأتي به المجهول دون ان يكون الانسان قد اعد له العدة أو حسب له حسابا. كما في حكايتي (طالب رحمة الله(٢٧) وصاحب الخيمة الزرقاء)(٢٨) . ففي الحكاية الاولى يأتي رجل فقير الى الملك يسأله حاجة فيجد الملك داعيا الى الله في صلاته ان يوفر رزقه ويحسن احواله ويبقي عليه نعمته ، فيعود الفقير الى خيمته داعيا الله أن يحسن حاله ويقضي حاجته فتهب عاصفة شديدة تقتلع خيمته ، فاذا ما هدأت العاصفة وعاد الى نصب اوتادها اصطدم الوتد بصخرة ، وعندما يرفع الصخرة يجد كنزا كبيرا ، يغنيه ويحسن احواله .

وتعثر الزوجة في الحكاية الثانية على كنز ايضا بعد ان تركها زوجها تحت رحمة الخيمة الزرقاء كناية عن السماء وذهب الى الحج مع سيده .

وهكذا تدل الحكايتان على ان الايمان الحقيقي بالله يبعث الرزق للمحتاجين والفقراء ويقدم الغنى والسعادة لبني البشر .

وتبقى مسألة الايمان الحقيقي المسألة الاساسية في المعتقد الشعبي حتى تتضاءل مسألة الزهد امام مسألة الايمان الحقيقي ، لان الله مع المؤمنين الخيرين الطيبين وليس مع الزهاد الكسالى الذين لا يعملون شيئا ويتزهدون بعد أن يشيخوا طالبين المغفرة من الله كما في حكاية (الرجل الذي اقرض الله مائة دينار)(٢٩) ، لقد سمع الرجل من الواعظ في صلاة الجمعة يقول ان من يعطي الصدقات يكون اجره عند الله مضاعفا عشرة اضعافها ، وكان مع الرجل عشرة دنانير تصدق بها الى الفقراء . وانتظر عطاء الله ، فلم يفز بشيء ، وذات يوم بينما كان سائرا زلقت رجله في ساقية ما ، فتحسس صرة رفعها فوجد فيها تسعة دنانير فقط . ذهب الى الواعظ معاتبا فضاق به الواعظ ذرعا واراد ان يتخلص منه فطلب اليه ان يذهب الى مقابلة الله . فسر الرجل ان يذهب الى الله مطالبا اياه بالدين الذي له عليه . ومر في طريقه الى الله بناسك قضى ثلاثين سنة في العبادة وباخر قضى سبعين سنة في العبادة . وبرجل اغناه الله دون ان يقدم عملا خاصا لله . وطلب الزاهدان من الرجل أن يقص حالهما على الله ، بينما طلب الرجل الغني الى الرجل الذاهب الى الله ان يشكره نيابة عنه ويذكر له انه لا يستحق كل هذا العطاء وحده

العطاء وهذه النعم . اشرف الرجل على جبل عال، صعد اليه ونام فوق قمة الجبل ، وفي الليل ايقظه ملاك وقدم له كنزا مقابل عطائه وعندما قص عليه خبر الزاهدين والرجل الغني اخبره الملاك بان الزاهدين لا يستحقان شيئا لانهما طماعان وشريران في دواخلهما وما تزهدا الا رغبة في عطاء الله . اما الرجل الغني فسينعم الله عليه بالخير العميم لانه رجل صالح قنوع .

بهذه الرؤية البسيطة للايمان العميق ، غطى في ضمير الانسان العراقي ان المؤمن القانع بما قسم الله له هو افضل من الرجل الزاهد الذي داعبت الرغبات قلبه .

وقد انعكست صورة الزهاد او المتظاهرين بالزهد والتدين ؛ بالخبث والحسد والغيرة والاجرام ففي حكاية (الرجل الغريب واللص العجيب)(٢٠) ، نفاجأ بان الرجل الزاهد الطيب ما هو الا لص اثيم اقض مضجع المدينة بجرائمه .

وقد قادت هذه الظاهرة الى معالجة الحكاية الشعبية العراقية لمسالة التظاهر بالتدين لتغطية الشرور والخبائث . ونتيجة لوقوف رجال الدين الى جانب السلطات الحاكمة في الماضي وفتواها في الظلم والاستبداد الذي كان يتعرض له الفرد في

تلك الفترة السوداء من الجهل والاستغلال بينما المفروض في رجل الدين ان يقف الى جانب المظلوم لا الظالم والمحتاج لا البطر وان يرفض الاستغلال والقهر وان يقاوم الجبروت والطغيان ولما لم يقف رجال الدين هذا الموقف بل اخذوا جانب القوي ضد الضعيف والمستبد ضد المحوق ؛ انطبعت في ضمير الانسان العراقي صورة رجل الدين محاطة بالشر والجشع والحقد والحسد كما في حكاية (قليل الانصاف) ، حيث ينفس رجل الدين على جاره الحطاب ان تحسن حاله ، ويحاول ان يكتشف سر غناه المفاجيء وعندما يبوح له الحطاب الفقير بسره يحتال عليه ويأخذ الكنوز التي عثر عليها ويقطع الحبل به فيموت . ولكن الله لا ينسى هذه الجريمة النكراء فيكتشف امره ويحكم باعدامه لسوء ما اقترفت يداه من آثام .

(٥) لقد آمن الفرد العراقي بالجن والسحرة ايمانا قويا مكينا وقد انعكس هذا الايمان في حكاياتهم الشعبية ولم يكن هذا الايمان جديدا مع دخول الديانات السماوية الى ارض العراق بل هو موجود في الديانات العراقية القديمة وقد كان تعويضا عن خوفهم من المجهول الذي يخفي في طياته الفناء والموت والدمار ، واختلفت الحكايات في تجسيد الجان وبيان خصائصهم العامة فمنهم

المخيف شكلا والشرير نفسا ومنهم اللطيف شكلا والخير نفسا ، ومثال الانطباع الاول حكاية (الشواك والابطال السبعة)(٢١) ومثال الثاني حكايتا (الجنية التي لبست جلد الظبية)(٢٢) الانفة الذكر وحكاية (جنجل وجنيجل وزين بن ربابة)(٢٢) .

في الحكاية الاولى يتغلب الشواك الفقير على المفاريت السبعة ويخضعهم لسيطرته ويسخرهم في منازلة الجان من اتباع (سعاد) ابنة ملك الجان التي وضعت شرطا لمن يتزوج بها ان يفوز في ثلاث مسابقات تعقدها مع من يطلب الزواج منها والا كان مصيره الموت واستطاع الشواك ان يتفوق في السباق ولكن ملك الجان تردد في تزويجه ابنته فحاول الشواك بمساعدة اتباعه المفاريت ان يهدم عليه قصره تارة ويخسف به الارض تارة اخرى وان يغرقه في مرة ثالثة ، فاذعن ملك الجان واعطاه ابنته (سعاد) لقد استطاع الانسان بمساعدة قوة خارقة ان يستعبد المفاريت ويخضع ملك الجان ويخيفه رغم شروره وحبه للقتل وسفك الدماء ويتزوج من ابنته القاتلة الشريرة . انه التعويض النفسي هذه المرة ايضا انعكس على الحكايات الشعبية ليعطي للانسان قوة في الحلم والخيال والحكايات تقط تجاه هذا المجهول من عالم الجن وكان الانسان في مثل هذه الحكايات يريد ان يخفف

من غلواء الخوف من عالم الجن المجهول بان ينتصر عليه ولو في الخيال . اما في الحكاية الاخيرة فيبدو الجان مؤنسين جدا حيث يساعد (جنجل وجنيجل) زين بن ربابة في حصوله على (الرمان الذي يهلهل والتفاح الذي يصفق) من وراء البحار السبعة لانقاذ امه من مرضها العضال ، وعندما يهاجمه الحنفيش ويطعنه لا يجد مساعدة الا من هذين الجانين اللطيفين الطيبين .

وفي هذه الحكاية ايضا يستطيع الانسان ان يكسب ود الجان ويسخرهم لصالحه . والاعتقاد بوجود الجان الطيبين والجان الاشرار مسالة يؤمن بها العامة في العراق ايمانا مطلقا وقد لا تجد فردا تجاوز الخمسين من العمر الا ويؤمن بذلك وكثيرا ما سمعنا قصصا كثيرة يرويها صاحبها عن تجربته مع الجان ، وكانت جارة عجوز لنا تؤكد ان الجان ياتون الى غرفتها ماء لتسليتها وذات مرة جاءها جان شرير على غفلة منهم واخذ يزعجها فما ان احس به اصدقاؤها الجان حتى اوسعوه ضربا ومنعوه من القدوم الى غرفتها . انها تروي مثل هذا الحديث وغيره الكثير بايمان مطلق مع انها امراة ورعة تقية لا تفتر عن التسبيح وقراءة القرآن ودلائل الخيرات . اما قبل انتشار الكهرباء في العراق فان الاحاديث عن الجان بين الناس كانت

من الاحاديث اليومية العادية وكانهم يتحدثون عن معارفهم واصدقائهم او اعدائهم .

اما الحديث عن السحر والسحرة فهو من الاحاديث اليومية العادية وخاصة في المجتمعات النسوية ويحظى السحرة بمكانة خاصة ويربحون الكثير من المال من النساء الجاهلات والرجال الاميين . ولكن السحر والسحرة انعكسا في ضمير الشعب انعكاسا سلبيا فالساحر او الساحرة بشر مشوه قدر يتشكل باشكال عدة ليخدع الناس ويوردهم مورد الهلاك ففي حكاية (الشيخ الساحر)(٢٤) يظهر الساحر بمظهر شيخ طيب يتظاهر بمساعدة الصائغ الفقير (نعمان) ولكنه يستغله في الحصول على الحشائش التي تحول الحديد الى ذهب ، وما ان يتوصل الى بغيته حتى يتركه في قمة جبل عرضة للموت . كما تستغل العجوز الساحرة في حكاية (الجندي والملك)(٢٥) الجندي الطيب وتنزله الى البئر ليأتيها بالشمعة السحرية وتحاول ان تقطع به الحبل وتميته ولكنه بحذره وذكائه يستطيع التخلص من شرها والتغلب عليها ويقترن الشيطان دائما بالسحر والسحرة وكثيرا ما سمعنا من جداتنا واجدادنا ان الساحر الفلاني او الساحرة الفلانية (عندها خادم) والخادم في اعتقادهم هو الشيطان الذي يسخره

الساحر في العثور على الاشياء المفقودة او زرع بذور الحب او كشف المجهول حسب ما يريد الشخص المراجع للساحر .

وقد انعكست هذه العقيدة في الحكايات الشعبية العراقية ، كما في حكاية (العجوز والشيطان)(٢٦) فقد تراهنت العجوز الساحرة مع الشيطان على ان تغلبه بمكرها وخبثها ، وبعد اعمال سيئة كثيرة فرقت بها الزوج عن زوجته واوقعت باناس كثر ، وقادت بعضهم الى السجن والبعض الاخر الى الموت آمن الشيطان بمكرها وخبثها وشرها وانها اكثر افسادا منه .

(٦) لقد بحث الانسان عن الخلود في المعتقدات العراقية القديمة منذ عصر البابليين فظن النمرود ان برج بابل سيعصمه من الموت وحاول كلكامش اكتشاف سر الخلود وفشلا ، وقد انعكس هذا المعتقد في ضمير الانسان العراقي وتردد على شكل حكايات على السن الرواة في حكاية (الملك والحشيش السحري)(٢٧) وحكاية (الملك واولاده الثلاثة)(٢٨) وحكاية (جنجل وجنيجل وزين بن ربابة)(٢٩) ، الانفات الذكر وحكاية (التفاحة المسحورة)(٤٠) التي تحكي لنا محاولات اولاد الملك الثلاثة للحصول على التفاحة المسحورة لتشفي والدهم الملك من

مرضه وتعيده الى اوج الشباب فيفشل الاخوان الكبيران ويتحولان الى تمثالين كما تحول من سبقهم ممن حاولوا الحصول عليها وفشلوا ؛ ولكن الاخت الصغرى تفوز بالتفاحة لانها تمتثل بنصيحة الشيخ الذي راته في طريقها ، ولم تلتفت الى الوراء على الرغم من الاصوات المخيفة التي انبعثت من ورائها ورغم تحرش الشياطين بها بشكل مزعج ومخيف وبعد ان فازت بالتفاحة المسحورة عادت جميع التماثيل الى الحياة ، وقدمت الفتاة قضمة من التفاحة الى الشيخ فعاد شابا كما عادت امها العجوز شابة نضرة وشفى والدها من مرضه وعاد الى ريعان الشباب .

(٧) وقد راود الانسان منذ القديم حلم الذهب ، والحصول عليه ، فقد كان الذهب منذ اكتشافه وما زال المعدن الانفس والاغلى والمستعمل في الحلي والزينة ، وقد راودت فكرة تحويل المعدن الخسيس (الحديد) الى معدن نفيس (الذهب) الكثير من العلماء الكيميائيين في القديم ، وارتبطت عملية التحويل هذه بالسحر في ضمير الانسان العراقي فرويت حكايات حول هذا المعتقد كما في حكاية (الشيخ الساحر)(٤١) ، الذي يحول الحديد الى ذهب باضافة عشب يحصل عليه من جبل عال لا يصله الانسان الا بمساعدة العفاريت الطائرة ،

ولا يستطيع ان يقطف هذا العشب الا رجل بسيط ساذج ، لذا يستغل الساحر (نعمان) الصائغ الرجل الطيب البسيط لقطف هذا العشب مستخدما قدراته السحرية .

(٨) ومن المعتقدات المتجذرة في ضمير الانسان العراقي الايمان بالقسم ، وقد كان النص التشريعي وما زال نصا قانونيا موضوعا في القانون المدني العراقي (البينة على من ادعى واليمين على من انكر) وهكذا يحتل القسم قدسية خاصة ، فمن تبين زوره في القسم في المحاكم العراقية تسقط عنه الحقوق المدنية ، ومن ينكث في قسمه يحتقر من قبل الناس في العراق ، بل ان ما هو منطبع في ضمير الفرد العراقي ان من يحنث في قسمه يورد نفسه مورد الهلاك . وتردد هذا المعتقد على السنة الرواة حكايات جميلة مثل حكاية (القطاة والغزالة والحمار)(٤٢) فقد ضجرت هذه الحيوانات من ظلم الانسان وقررت ان تعمل بعيدا عن شروره ، فاتفقت على ان تزرع الارض وتقتات على نتاجها اتت القطاة بالحب وزرعت الغزالة الحب وحرث الحمار الارض ، هطلت الامطار ونما الزرع . وذات يوم بعد ان نما الزرع . تظاهر الحمار بالمرض . وبعد ان ذهبت القطاة والغزالة ، اندفع الحمار ياكل نتاج الارض ولم يبق شيئا وعاد الى النوم

متظاهرا بالمرض . وعندما عادتا انزعجتا وهما تلاحظان الارض القفر ، انهما الحمار باكل المحصول تعلل بمرضه وانه لم يبرح سريره . اتفقوا على ان يقسموا عند بئر زمزم فاقسمت القطاة وطارت ، واقسمت الغزالة وعبرت ، اما الحمار فسقط في البئر ومات نتيجة لحنثه في القسم .

(٩) لقد آمن الانسان العراقي بالاضرحة والمراقد والمزارات وكان وما زال الانسان العراقي يؤم المراقد والمزارات طالبا منها ان تخلصه من بلية او تشفيه من مرضه او تحقق له امنية وانعكس هذا في ضميره وتردد في الحكايات العراقية ففي حكاية (لا تصير آدميا)(٤٣) يتردد الرجل على المراقد والمزارات طالبا ان تمنحه ولدا وتسلك زوجته العاقر نفس السبيل ويستجاب لدعائهما وتوسلاتهما ، وينجبان ولدا .

وقد تنعكس هذه العقيدة بشكل سلبي في ضمير الانسان العراقي حيث لا يعتقد البعض بجدوى هذه المزارات وخاصة بعد انتشار افكار اسلامية تؤكد الايمان باصول الشريعة الاسلامية الاولى الكتاب والسنة . ودارت على السنة الناس وما زالت تدور احاديث عن بعض المراقد انشاها اناس مشعوذون لتدر عليهم المال عن طريق

استغلالهم لايمان الشعب البسيط كما في حكاية (الشيخ الاسود)(٤٤) ؛ فقد ضاق الرجل بفقره واراد ان يورد نفسه مورد الهلاك فقتل الوحش الذي قطع الطريق على السابلة ، وبعد ان قتله وتركه في العراء ليراه الناس ويطمئنوا عند سلوكهم الطريق انبعثت منه رائحة نتنة . دفنه قاتله في التراب تخلصا من رائحته . وحدث ان مرت امرأة في الطريق ولاحظت القبر فظنته مزارا ، وبعد ان انتهت من الزيارة والدعاء شفيت من مرضها وذاع ان هذا المرقد يشفي المرضى ويحقق الامال فامه الناس للزيارة وانهال المال على الرجل الفقير ، وعندما وجد ان سبيل الرزق امامه قد فتح على مصراعيه اقام مزارا وقبة ، واصبح فيما عليه يجبي اموال الناس السذج حتى اغتنى ، وكان في صالحه ان يرسخ اعتقاد هؤلاء الناس البسطاء . بان وليا كبيرا يرقد في هذا القبر وانه القيم عليه .

(١٠) وفي الكثير من الحكايات الشعبية العراقية تصادفنا الارقام (٣ ، ٧ ، ٤٠) ليس هذا اعجابا بهذه الارقام بل « يستند بالحقيقة الى مجموعة من المعتقدات والتصورات التي يرجع بعضها الى اصول بدائية قديمة .. ان رقم ٧ (سبعة) ... قديم في اساطير الشعوب البدائية وتدل عليه اسطورة خلق العالم ... ولكن رقم سبعة يتمثل كذلك في

البيئات الحضارية فايام الاسبوع سبعة والافلاك السماوية سبعة والالوان الاساسية سبعة والمعادن سبعة ونغمات السلم الموسيقي سبعة ... وفي العقيدة الاسلامية ان الله خلق العالم في ستة ايام ثم استوى في اليوم السابع على العرش والسموات سبع والارضين سبع كذلك . وكذلك كان اهل الكهف سبعة .. .وفي كل هذه الحالات يشير الرقم سبعة الى حقيقتين متكاملتين الاولى هي دورة الحياة والثانية هي معنى التكامل ودورة الحياة تتدرج في سبع مراحل تصل نهايتها الى حالة التكامل ان الرقم سبعة يشير الى التدرج والدوران ثم العودة الى البداية او الميلاد من جديد ؛ ولامر ما كان احتفالنا بالطفل الوليد في اليوم السابع من ولادته »(٤٥) وتابيننا للميت في اليوم السابع من موته وتذهب النفساء الى الحمام في اليوم السابع من الولادة واحتفالنا بالعروس حيث تذهب الى الحمام في مراسيم خاصة في اليوم السابع من زواجها . وفي حكاية (الثاني عشر) يرى الشاب الذي ذهب لانقاذ الفتاة من الغيلان سبعة غيلان يقومون بالحراسة(٤٦) وفي حكاية (تضحية اخت) كان على الاخت لاجل انقاذ اخوتها ان تقضي سبع سنوات متتالية كئيبة لا تضحك(٤٧) وفي حكاية (الملك والحشيش السحري) مضى الطائر يطير

بمحمد سبعة ايام وسبع ليال لكي يوصله الى الشجرة السحرية(٤٨) وفي حكاية (الرفق بالحيوان) امر الكلب على القطة ان يحمل الخاتم السحري ولكنه اسقطه قبل الانتهاء من البحر السابع(٤٩) . ويتردد ذكر البحار السبعة في اكثر الحكايات الشعبية العراقية اما رقم ثلاثة فيتردد في معظم القصص كتحديد لعدد الابناء ، ويكون الابن الثالث هو افضل الابناء دائما . ويمثل رقم ثلاثة مكانة خاصة في الاديان السماوية كالتثليث المسيحي والشهادة الاسلامية . (وان محمدا عبده ورسوله) هذا بالاضافة الى ان العزاء الذي يقام على روح الميت ثلاثة ايام ايضا ويعتقد ان روح الانسان بعد موته تبقى على الارض ثلاثة ايام ثم تصعد الى بارئها لذا طلب الملك الى اولاده ان يحرسوا قبره ثلاث ليال في حكاية (الاشباح الثلاثة الابيض والاسود والاحمر) . وفي حكاية (حديدان) يدور الحدث حول ثلاثة اشخاص (نخيلان وقصيبان وحديدان) ومثل هذا كثير في الحكايات الشعبية العراقية .

ويتردد رقم ٤٠ كذلك في القصص الشعبي العراقي ولكن بصورة اقل من الرقمين السابقين وفي حكاية (الحنفيش) يسمح للفتاة التي خطفها ان تفتح اربعين غرفة وتمتنع عن فتح الغرفة الحادية والاربعين(٥٠) وفي حكاية (جنجل وجنيجل

وزين بن ربابة) يسير زين اربعين يوما حتى يصل القصر(٥١) ويرى في القصر اربعين غولا(٥٢) . وفي حكاية (القصر المسحور) ترى الفتاة ساحة فيها اربعين كرسيا ويأتي اربعون عصفورا يخلعون جلودهم فاذا بهم اربعون شابا يجلسون على الكراسي الاربعين(٥٣) ويحتل رقم اربعين مكانة خاصة في المعتقدات الشعبية العراقية فتقام للميت حفلة تأبين في اليوم الاربعين من موته تسمى الاربعينية ويشتد الحر في اربعينية الصيف ويكون البرد تارسا في اربعينية الشتاء .

مكتبتنا العربية

ثانياً ـ الحكاية الشعبية العراقية والاوضاع الاجتماعية :

كما عكست الحكاية الشعبية العراقية المعتقدات والتصورات الشعبية للشعب العراقي ، عكست الواقع الاجتماعي العراقي والعلاقات الاجتماعية ، ولم يأت تصوير العلاقات الاجتماعية منفصلا عن المعتقدات والتصورات الشعبية بل جاءت متداخلة ومتلاحمة معها ، لان المعتقد او التصور له تأثير مباشر ايجابي او سلبي على انماط السلوك الفردي والاجتماعي وعلى العلاقات الاجتماعية والمصالح المتبادلة بين الافراد .

ومما يلفت النظر في الحكاية الشعبية العراقية انها لا تتناول افرادا بعينهم من المجتمع وانما تتناول انماطا اجتماعية محددة تارة وعامة تارة اخرى وانها في الغالب ذات اهداف اجتماعية صرفة ، وباسلوب يبعث على الامتاع والتسلية

حينا والفكاهة في احايين اخرى . ومن هنا نجد ان الحكاية التي تعكس مدلولا اجتماعيا قد تختلط بالحكاية الفكاهية او بالنادرة او بالمثل . والسمة الغالبة على هذه الحكايات انها حكايات تربوية وعظية بالدرجة الاولى تحاول ان تثبت اخلاقا معينة في نفوس السامعين تراها هي الاقوم والاصلح لبناء مجتمع سليم ، ولكن هذا لا يمنع من ان تتناول الحكاية الشعبية انماطا من السلوك او انماطا من الناس فتتناولهم بالنقد اللاذع والسخرية الجارحة :

(١) الحكايات التربوية الاخلاقية :

تؤكد الحكاية الشعبية في العراق على **القناعة** والاستسلام الى ما ياتي به القدر فهما اللذان يقودان الى الخير والغنى كما في الحكايات التالية (المنصف وعديم الانصاف ، طالب رحمة الله ، الرجل البار الذي اقرض الله مائة دينار ، الشواك والابطال السبعة) وترتبط مسالة القناعة **بالانصاف** فالرجل المنصف هو الرابع في الحكاية الشعبية العراقية فالانصاف دائما يقود الى الخير مثل حكاية (المنصف وعديم الانصاف) .

وان الخداع والمكائد ولف الحبال تؤدي بصاحبها وتؤدي دائما الى الخسران كما في

الحكايات (الشواك والابطال السبعة ، العصفور والشوكة ، الرفق بالحيوان) .

وتتصل القناعة بالطمع ، فالطمع يقود صاحبه الى الموت دائما بعكس القناعة كما في حكاية (الشواك) . وتؤكد هذه الحكاية على الامانة ايضا فالعبد الامين الذي اشتراه الشواك هو الذي خلصه من شر الغيلان التي سعت الى القضاء عليه.

وتؤكد الحكاية الشعبية العراقيه على ان الخلل الاجتماعي لا يستعصي على الاصلاح اذا ما احسن تدبير الامور ، فالمجرم ينال جزاءه مهما طال زمن العقاب كما في حكاية (قليل الانصاف) . الا ان عدم الوعي بما يفعل الانسان يقوده الى الفشل والخسران مهما كاد ولف ومهما حاول ان يستخدم ذكاءه وقدراته لانه ليس المهم ان تكون حاذقا وذكيا بل المهم كيف يوجه الذكاء والحذق الوجهة الصحيحة النافعة ، كما حدث للعصفور في حكاية (العصفور والشوكة)(٥٤) فقد دخلت شوكة في رجل العصفور وآلمته كثيرا فجاء الى خبازة تخبز على (التنور)(٥٥) ، توسل اليها ان تخرج الشوكة من رجله ، ففعلت ورمت الشوكة في نار التنور فاحترقت ، جاء العصفور يطالبها بالشوكة او باخذ الخبز ، فاعطته اياه ، طار العصفور ورأى راعيا

يشرب الحليب ؛ فطلب العصفور اليه ان يقدم له الخبز مقابل اشراكه في الطعام . وافق الراعي ولكنه طلب اليه ان يقرب الغنم من بعضها اولا ، انجز العصفور ما طلب منه الراعي : وعندما عاد ليأكل معه وجده قد اتى على الطعام برمته فطلب اليه ان يعيد خبزه او يعطيه ثلاث نعجات مكانه ؛ فاحرج الراعي واعطاه ما طلب ؛ اخذها العصفور وفي الطريق وجد حفلة عرس تذبح فيها القطط والكلاب بدلا من الماشية لعدم توفرها لديهم ؛ فطلب الى اهل العريس ان يعطيهم النعجات مقابل ان يعدوا له طعاما فاخرا . فطلبوا اليه ان يذهب الى مكان حددوه له ويأتيهم بالاواني ؛ وحينما عاد وجدهم قد اتوا على الطعام برمته فطلب اليهم ان يعيدوا له النعجات او يسلموه العروس ؛ فلم يجدوا بدا من تسليم العروس له . اخذ العصفور العروس وذهب معها مشوارا ورأى رجلا ينفخ في مزماره طربا ؛ فعرض عليه ان ياخذ المزمار مقابل اعطائه العروس فوافق الرجل . اخذ العصفور المزمار وصعد الى غصن شجرة وهو ينفخ فيه وفجأة وقع منه وانكسر .

ونحن نلمس في هذه الحكاية انه على الرغم من ذكاء العصفور وحذقه ؛ لم يفده ذكاؤه شيئا لانه

لم يستطع ان يوجه ذكاءه الوجهة الصحيحة النافعة .

وقد اكدت الحكايات الشعبية العراقية الاتصاف بالاخلاق القويمة لانها مصدر النجاح والوصول الى الهدف المنشود **كالذكاء والشجاعة** كما في الحكايات التالية (اللغز ، الملك والحشيش السحري ، الرجل الذي لا يعرف معنى الخوف ، حديدان) . وحثت ايضا على **طيبة النفس** وحسن الخلق والمعاشرة كما في حكايتي (لا تصير آدميا والقصر المسحور) ، وعلى **العدالة في الاحكام** كما في حكاية (الرجل الذي لا يعرف معنى الخوف) . وعلى الاستفادة من **حكمة الشيوخ** كما في حكاية (السرادق السحري) . وعلى **الرفق بالحيوان** كما في حكاية (الرفق بالحيوان) . وعلى **الوفاء** في العهود والوفاء للغير والوفاء لمن تقدم بمساعدة دون ان يبتغي من ورائها منفعة كما في حكاية (عدو المراة) . وعلى **العفة** وصيانة حرمة الاخرين كما في حكاية (الرجل البار الذي اقرض الله مائة دينار) واكدت الحكاية الشعبية العراقية على الامل وذم اليأس والقنوط لان الله والطبيعة ياخذان دائما بيد المظلوم وينتصران له مهما طال امد ظلمه ويأخذون حقه من الظالم كما في حكاية (العصا السحرية) . واكدت على **اطاعة الوالدين** والبر بهما كما في حكاية

(الاشباح الثلاثة) وذمت الحكاية الشعبية العراقية الاخلاق السيئة وحذرت من مغبتها على الفرد والجماعة . ودعت عن طريق الايحاء او الوعظ المباشر اجتناب هذه الاخلاق لانها تورد صاحبها مورد التهلكة وتقوده الى الدمار **كالخيانة** كما في الحكايات (جنجل وجنيجل وزين بن ربابة والملك والحشيش السحري والجندي والملك) **والحقد** كما في الحكايات التالية : (الرجل الغريب واللص العجيب ؛ والخيارات الثلاثة ؛ والتفاحة المسحورة؛ وابن الملك والبنات الثلاثة) . وحذرت من الكسل ومغبته والخسران الذي يؤول اليه الانسان الكسلان وعقدت مقارنة بين الانسان الشاطر الشغول وكيف يقوده جده الى الفلاح والكسب وبين الانسان الكسلان الذي يؤول به الامر الى الفقر والفاقة كما في حكاية (زوجة ملا ناصرالدين) .

(٢) وبناء على المثل الاخلاقية التي دعا اليها المجتمع والاخلاقيات التي نبذها ودعا الفرد الى التخلص منها ؛ فقد انعكست هذه الاخلاقيات الايجابية والسلبية في الحكاية الشعبية العراقية متراوحة بين القبول والرفض ؛ فقد سخر المجتمع من انماط من السلوك ورفضه رفضا باتا؛ فانعكس ذلك في الحكايات الشعبية العراقية فقد انتقدت الحكايات **البخل والكدية** نقدا لاذعا ففي حكاية

(التسابق بين البخلاء) يسمع عمران ان في قرية مجاورة من هو ابخل منه فيسعى اليه ويخسر عنده خبزه وحذاءه ويعود بقدمين متورمتين من اثر المشي حافيا ؛ ويقترن البخل بالكدية وكلاهما صفتان مذمومتان في المجتمع العراقي . وتعرض لنا حكاية (العميان الثلاثة) كيف يقابل المكدي الاعمى الاحسان بالشر وسرقة المحسن اليه مما يدفع المحسن الى الانتقام من المكدي واخذ ما اكتنزه من مال .

وتضع الحكاية احيانا نموذجين من الناس بخيل يسعى الى التملك باية وسيلة كانت وكريم شهم لا يخدع ولا يستغل ولكنه يبذل من ماله في سبيل الخير من اجل اعلاء المثل الاخلاقية ليكون قدوة للناس يقتدون بخصاله وشمائله العالية كما في حكاية (لا تقطع سبيل المعروف) ، كان الرجل ذو مكانة مرموقة يملك فرسا اصيلا طمع بها احد البخلاء وكان يعلم بسمو اخلاق المالك وبذله عن سعة ؛ فترصده في الطريق وتظاهر بالمرض وانه غير قادر على السير للذهاب الى اهله ؛ فاعطاه الرجل المرموق الفرس ولكنه ذكره بانه على علم بتمارضه وتحايله عليه طلب اليه الا يذكر ذلك لاحد كي لا يمتنع سبيل المعروف عند الناس .

وقد سخرت الحكايات الشعبية العراقية من الاغبياء ونقدتهم نقدا لاذعا كما في حكايتي (المراة والنعجة ، والحمار الذي سافر الى المدينة الكبيرة). وفي الحكاية الثانية ، يطلب الفلاح من حماره ان ياخذ الحبوب الى تاجر في المدينة كان يتعامل معه ويعود اليه بثمنها ، وذهب الفلاح الى داره ، مضت ايام عديدة ولم يعد الحمار بثمن الحبوب . قلق الفلاح وذهب الى المدينة يستفسر من التاجر عن الامر فسخر منه التاجر وذكر له بان حماره قد تحول الى انسان وذهب الى مدينة اخرى ذكرها له(٥٦) فهرع الفلاح الى تلك المدينة وراح يسال عن الحمار الذي تحول انسانا ، فدله احد الخبثاء الى شخص تبدو عليه مظاهر النعمة ويحفه الاتباع بالاجلال والاحترام . امعن الفلاح النظر فيه وبدا له ان وجهه يشبه وجه حماره ، استاذن في الدخول عليه ومضى يعاتبه على اخذه للنقود وعدم عودته الى الدار وكانه حماره فعلا فثار الرجل وخشي الفضيحة وعلم بان احد الخبثاء قد ارسله اليه مستغلا غباءه ، اعطاه مالا وطلب اليه الانصراف .

وفي طريق عودته الى قريته راى الفلاح حماره تائها في الطريق فلم يلتفت اليه وتمتم في سره : ما هي لعبتك الان هل تريد ان تكسب مالا جديدا فانقلبت الى حمار ؟

وكما تسخر الحكاية من الاغبياء ، تسخر كذلك من المجانين وسيئي التصرف والسفهاء وتضع موازنة بين عاقل ومجنون امعانا منها في السخرية من المجانين كما في حكاية (العاقل والمجنون) وكيف قاد المجنون نفسه الى التهلكة لسوء تصرفه على الرغم من ان الظروف ساعدته وحصل على اشياء لا يحلم بها امثاله . ولكنه لم يحسن التصرف رغم الحظ الذي واتاه وانتهى نهاية مؤلمة على العكس من العاقل الذي احسن تدبير اموره فنجح في مسعاه واضاف الى حصيلته ما تركه اخوه المجنون بعد هلاكه .

وانتقدت الحكاية كسل الرجال واعتمادهم على كسب زوجاتهم وسخرت منهم سخرية لاذعة، كما في حكاية (زوجة ملا ناصر الدين) فقد ضاقت به ذرعا وخيرته بين الطلاق وبين العمل واشترت له حمارا اعور وادوات عطار يدور بها على المنازل ولكن بطاء في السير وكسله جعل حماره يتقاعس هو الاخر ويبطيء ، فلامته زوجته وطلبت اليه ان يحث حماره على السير فما كان منه الا ان وخزه وخزة شديدة فاجفل الحمار واسرع في الركض ولم يستطع ملا ناصر الدين اللحاق به .

وانتقدت الحكاية سلوك الحشاشين وسخرت منهم ، كما هم في الواقع سخرية المجتمع في حكاية (الحشاش كيار) بحيث انه تصور نفسه امراة لشدة ما اخذه دخان الحشيش .

ونقدت الحكاية العراقية سلوك اولئك الاوباش الذين يسيئون الى من يحسن اليهم كما في حكايتي (جهل الانسان ومجازاته الاساءة بالاحسان ، لا تصنع المعروف مع بني آدم) لقد احسن الشاب في الحكاية الاخيرة الى افعى وقطة وانسان ، وبقدر ما نفعه الحيوانان اضر به الانسان واوشك ان يورده مورد الهلاك لولا سعي الافعى والقطة الى انقاذه .. وفي الحكاية الاولى يبدو الثور اكثر عقلا وحصافة من انسان جاهل ذي غفلة يخدع بسهولة ويبدل الشيء الثمين الذي بين يديه بشيء آخر بخس .

(٣) ويلعب الحب دورا كبيرا في الحكاية الشعبية العراقية فهو يحول كل قبيح الى جميل ويجعل الحياة التي لا تطاق بهجة سعيدة . ففي حكاية (القصر المسحور) ينقلب الحقد والانتقام الى صفاء وتضحية . والحب في الحكاية قدر مقدر على الانسان لا يستطيع عنه فكاكا حتى يصل بطل الحكاية الى المحبوب وان لم يكن قد رآه قط ، فقد يصيبه سهم الحب من دعاء عجوز ساحرة كما في حكايتي (الخيارات الثلاثة ، والامير نور الزمان

والاميرة ستيت الزمان) . او يزور الفتاة طيف المحبوب في المنام فتقع اسيرة حبه كما في حكاية (القصر المسحور) . والحب في الحكاية قادر ان يصنع الاعاجيب ويقلب الاحوال من حال الى حال فتصبح الامور السيئة حسنة ويتحول القبح الى جمال وعدم الرضا الى رضا ، ويحقق التغيير الذي يحن اليه الانسان دائما ، وينتهي الحب في الغالب الى الزواج ، ومن خلال هذا الفعل يبين لنا اهمية المراة وقيمة النصف الاخر لبناء الاسرة المنسجمة وبالتالي بناء المجتمع المكين .

(٤) اهتم المجتمع العراقي عبر عصوره بالاسرة وجعلها اللبنة الاولى لبناء المجتمع بناء صحيحا . واحتل الزواج مكانة قدسية فيه ، وحظي **الزواج** بمراسيم خاصة واحتفالات معينة تقيمها اسرتا الزوج والزوجة . وكان وما زال البحث عن الزوجة المناسبة من اهم الامور التي تشغل بال الرجل واسرته ، وما يهم في المراة ليس الجمال فقط بل تحتل الاخلاق اهمية اكبر . ان ما يصبو اليه الرجل هو وفاء الزوجة له ومشاركتها اياه افراحه واتراحه في السراء وفي الضراء . فالاخت الصغرى في حكاية (ابن الملك والبنات الثلاث) تضحي بنفسها من اجل سعادة زوجها . ومن هنا جاء التاكيد على الزواج من الاقارب وابنة العم

اساسا لابن عمها ولا يحق لاحد الزواج بها اذا وضع ابن العم يده عليها . وقد انعكس ذلك في الحكاية الشعبية وكما صورتها حكاية (الحنفيش).

ان حصول الرجل على المراة عن طريق الزواج امر ليس بالهين فللزواج تكاليفه الباهضة ومخاطره الكثيرة فلم يستطع (الامير نور الزمان) ان يحصل على (الاميرة فتيت الرمان) الا بعد مخاطر عظيمة وجهد شاق وكذلك ابن الملك في حكاية (الخيارات الثلاثة) .

وقد يدخل الشاب تجربة شاقة في الحصول على زوجته فهي اما تطلب منه ان يحل الالغاز التي تلقيها عليه . او يفحمها في حل الالغاز كما في حكاية (اللغز) او يدخل صراعا حادا معها في مبارزة بطولية او سباق بطولي كما في حكاية (الاشباح الثلاثة) . او يكون الصراع البطولي مع اتباعها وخدمها كما في حكاية (الشواك والابطال السبعة). او يكون الصراع ضد وحش مفزع مسيطر على المدينة لا يرضى الا بفتاة كل يوم وفي اليوم المحدد لتقديم ابنة الملك للوحش يصل الفارس المنتظر لانقاذها من الوحش ولانقاذ المدينة من شره كما في حكايتي (الملك والحشيش السحري والملك واولاده الثلاثة)اما الصراع الاكثر وقوعا في الحكاية العراقية

للوصول الى الزوجة الحبيبة فيقع مع الغيلان او الحنافيش ولا اريد ان احصي الحكايات من هذا النوع لانها اكثر من الكثير ولاخذ على سبيل المثال الحكايات التالية (الشيخ الساحر ، الجندي والملك الثاني عشر ، الخيارات الثلاثة ، النصيب ، التفاحة المسحورة ، الحنفيش ، الملك والخاتم ، جنجل وجنيجل وزين بن ربابة ، الجنية التي لبست جلد الظبية ، جهل الانسان ومجازاته الاساءة بالاحسان) الى اخر ذلك من الحكايات .

ان المجتمع لا يكتمل الا بزواج الرجل والمراة، ولا يستطيع الرجال العيش وحدهم من دون النساء ولا تستطيع النساء ان يحيين دون الرجال ، هذا ما يردده الرجال والنساء في المجتمع العراقي . وقد انعكس ذلك في الحكايات الشعبية كما في حكاية (عدو المراة) ، طلب الملك من عبده ان يترك زوجته ليزوجه بمن هي اجمل وافنى واحسن اخلاقا فرفض العبد لانه يحبها ولانها ام اولاده . هدده الملك بالموت واصر العبد على الرفض ، سجنه في قبو عميق وارسل الى زوجته العبدة السوداء القبيحة الفقيرة السليطة اللسان ، وطلب اليها ان تترك زوجها ليزوجها بشاب اكثر جمالا واوفر غنى وافقت الزوجة ولم تكتف بذلك بل ذبحت زوجها، غضب الملك لخيانة المراة وقرر سجن جميع النساء

في مملكته ، وابقاء الرجال فقط مدت الايام والرجال يعانون الامرين ولم يستطيعوا صبرا فذهبوا الى الملك يتوسلون اليه ان يطلق سراح زوجاتهم لانهم لا يطيقون الحياة بدونهن .

ان التاكيد على ضرورة المراة بالنسبة للرجل وضرورة الرجل بالنسبة للمراة من اجل قيام اسرة قويمة يتبعه **الاهتمام بالانجاب** لان الاولاد استمرار في بقاء الحياة بل استمرار لحياة الاب ومن هنا تشيع المقولة (الاولاد يبقون ذكر ابائهم ، من انجب لم يمت) وينصحون الاعزب بالزواج قائلين (تزوج لتترك من يحيى ذكرك) . هذه المقولات مازلنا نسمعها وما زالت الافواه ترددها . وقد انعكست في الحكايات الشعبية مثل الحكايات التالية (الحنفيش ، لا تصير آدميا ، الجنية التي لبست جلد الظبية) . لذا يفخر الاب باولاده كلما ازدادوا عددا كما في حكاية (الثاني عشر) بينما يحزن الابوان اذا لم ينجبا . ويستجيران بالله ان يبعث لهما ولدا يخضر دارهما ويبعث الحياة في حناياه كما في الحكايات التالية (جنجل وجنيجل وزين بن ربابة ، الامير نور الزمان والاميرة فتيت الرمان ، الخيارات الثلاثة) وغيرها .

وقد حظي الاولاد باهمية كبيرة وهم في الغالب

ثلاثة **ذكور** ويفضل الابن **الاصغر** ويكون اسمه (محمد) في الاغلب الاعم . ويكون اكثر اخوته شجاعة وقدرة وحبا لابويه وغفرانا لاساءة اخويه، ويكون دائما بطل الحكاية . وقد يكون الاخ الصغير ابنة لا ولدا وتتصف بنفس صفات الولد الاصغر كما في حكاية (تضحية اخت) .

ونتيجة للاهتمام بالانجاب والاولاد نقدت الحكايات الشعبية **اهمال الاولاد** واعتبرته عملا اجراميا وما ذلك الا انعكاس لطبيعة العلاقات في الاسرة العراقية . كما في حكايتي (العصا السحرية وحديدان) . يقع الطفلان في الحكاية الاولى تحت رحمة عجوز ساحرة ولكنهما يفوزان عليها نتيجة لحذقهما وذكائهما . اما في الحكاية الثانية فتستطيع (الدامية) ان تاكل (نخيلان وقصيبان) ويتغلب عليها (حديدان) بحذقه وذكائه وقدراته الممتازة . واذا كانت العلاقات بين الزوجين والابوين تلعب دورا مهما في بناء الاسرة العراقية فان **للاخوة** اهمية كبرى في المجتمع العراقي . وقد انعكس ذلك في الحكايات الشعبية ايجابا او سلبا ففي العديد من الحكايات نجد تضحية الاخوة في سبيل بعضهم البعض ولا سيما الاخ الصغير او الاخت الصغيرة كما في الحكايات التالية على سبيل المثال (تضحية اخت ، الاشباح الثلاثة ، حديدان ، العصا

السحرية ، التفاحة المسحورة ، القصر المسحور ، الثاني عشر ، السرادق السحري) .ولكننا نجد في الكثير من الحكايات ايقاع الاخوين الكبيرين بالاخ الصغير او الاخت الصغيرة غيرة وحسدا . لان الاخ الصغير يفضلهم في اخلاقه وخصاله وقدراته الفذة. ففي حكاية (ابن الملك والبنات الثلاث) توقع الاختان باختهما الصغيرة وتحثان زوجها على ان يطلقها ويطردها من قصره هي واطفالها . وفي حكايتي (الملك واولاده الثلاثة ، والملك والحشيش السحري) يقطعان الحبل باخيهما الصغير بينما هو يستسقي لهم الماء من البئر للاستيلاء على عقار الخلود . ويسخر الاخوان من اخيهما الصغير عندما يحرس قبر والدهم ثلاث ليال حسب وصيته في حكاية (الاشباح الثلاثة) ، ويضع الاخوان اخاهما الصغير في موقف صعب من حكايات (الحنفيش) ، وجنجل وجنيجل ، والجنية التي لبست جلد الظبية . ولكن الاخ الصغير يتجاوز دائما اساءة اخويه ويساعدهما بعد عودته فائزا في جميع الحكايات الشعبية العراقية على الاطلاق .

وقد يتساءل متسائل ما سبب التركيز على الاخ الصغير في الحكاية العراقية ؟ ان ذلك انعكاس للبيئة العراقية ولطبيعة العلاقة في داخل الاسرة فالولد الصغير يحتل اهمية بارزة بالنسبة للوالدين

ويحظى بعناية خاصة منهما لانه (نهاية البطن) كما تقول الام . ولانه (يخضر الدار) كما يقول الاب . وهذا ما يدفع الغيرة في نفوس اخوته ، ويجعلهم ينفسون عليه لما يحظى من رعاية ابويه وقد يصل الحسد درجة الحقد .

اما السبب في تمسك الحكاية بالاولاد الثلاثة فهو يعود الى تقديس رقم ثلاثة الذي مر بنا انفا . ويظهر في الحكاية العراقية كذلك **تعالي الاخ الغني على الاخ الفقير** ، كما في حكاية (الدرويش) او تعالي الاخ والد الابناء على والد البنات كما في حكاية (السبع بنات والسبعة بنين) ففي الحكاية الاولى تكبر ابنة الاخ الفقير ويعرض والدها على اخيه الغني ان يزوجها من ابنه ، ولكن الاخ الغني يرفض عرض اخيه الفقير ، فيقرر الاخ الفقير ان يزوج ابنته من اول رجل يمر في الطريق ، ويحدث ان يمر درويش في الطريق ، فيدعوه الاخ الفقير الى الدار ويعرض عليه ان يتزوج ابنته ، يتردد الدرويش محتجا بفقره ولكن الوالد يصر وتوافق الابنة ، وتعقد الخطوبة ، ويسيل المال بين يدي الاخ الفقير فقد تبين ان الدرويش رجل غني ، عندئذ يخطب الاخ الغني لابنه فتاة غنية ، ولكن ولده يصر على الزواج من ابنة عمه لانه علق بها وشغفته حبا ، فيلجأ الاخ الغني الى المحاكم ليجبر اخاه

الفقير على تزويج ابنته من ابنه ، فتصر الابنة والاب على الرفض ويخسر الاخ الغني وابنه القضية وتتزوج الفتاة من الدرويش .

ويتعالى الاخ والد الابناء على اخيه والد البنات في الحكاية الثانية ويرفض تزويج ابنائه من بنات اخيه . ويرسل الاخ الغني اولاده للاتجار وزيادة ثروتهم ولكنهم يفشلون جميعا . بينما تنجح ابنة الاخ الفقير في التجارة بعد ان تتزيا بزي رجل وتسمي نفسها (علي ناصر) وترتبط بصداقة صميمة مع ابن الملك الذي يشك في امرها ، وبعد ان يكتشف انها امراة يقدم على الزواج منها ، وتنقلب الاحوال بالاخوين فيفتقر الاخ الغني بعد خسارة اولاده المتتالية في التجارة ، ويغتني الاخ الفقير بعد ان تنجح بناته في التجارة ويتزوج ابن الملك من ابنته الصغرى .

ان ما عكسته هاتان الحكايتان عن تعالي الاخ الغني على الاخ الفقير او تعالي الاخ والد الابناء على الاخ والد البنات حقيقة واقعة في المجتمع العراقي ، وما زال مثل هذا الامر يحدث بالنسبة للاسر الجاهلة والمتخلفة في مضمار التمدن والتفتح للحياة . ويمكن ان نجد اخوين منفصلين تماما ولا توجد اية علاقة بين اسرتيهما في العراق بسبب هذا

التفاوت الاقتصادي او الاجتماعي ولكنها ظاهرة بدات بالزوال بعد زيادة الدخل القومي والرفاه الاقتصادي اللذين حققتهما الثورة .

وتعكس البيئة العراقية سلبيات الارتباط بين الزوجين كما تعكس ايجابيات الرابطة الاسرية في الحكايات ، فالخلاف قد يقوم بين الزوجين بسبب من الزوج او الزوجة . ونتيجة لدكتاتورية الرجل في الاسرة العراقية منذ القديم وحتى مطالع ثورة تموز في العراق عام ١٩٦٨ بسبب السيطرة الاقتصادية التي يمتلكها الزوج قبل ان تدخل المراة معترك الحياة وتشارك الرجل العمل او الانفاق لذا نجد ان الزمام كان دائما بيد الرجل وان المبادرة بالهجر او الطلاق كانا في يد الرجل فقط . وقد يكون ذلك بسبب اخر هو جهل المراة وتخلفها وضيق افقها في الماضي نتيجة لمكوثها في الدار دون ان تبرحه الا الى القبر وقد كانت المراة العراقية تفخر الى عهد قريب بانها لم تنشر ازارها ابدا فقد طوته منذ دخولها بيت الزوجية ولن ينشر الا فوق تابوتها وهي تحمل الى مستقرها الاخير . وقد انعكس كل ذلك في الحكاية الشعبية العراقية . ففي حكاية (المراة والنعجة) هجر الزوج زوجته الغبية لانها البست جميع ملابسها وحليها لنعجتها

خوف ان تبوح لزوجها بانها رات ساقها وهي تكنس الدار ، ولكن الزوج يعود الى زوجته مستغفرا عندما يرى زوجات اخريات اكثر منها غباء . فقد مر اثناء هروبه من زوجته بامراة تبكي زوجها المتوفي وعندما سالته عن بغيته اجابها بانه ذاهب الى جهنم اعطته الارمل جميع حاجيات زوجها وتقوده ليوصلها الى زوجها في جهنم لعله يحتاج اليها . وصادف الزوج امراة اخرى تعول عند شاطيء جدول لانها تصورت ان ولدها سيغرق في الجدول بعد ان تلده رغم انها ليست حاملا . وصادف امراة تريد قطع راس عروس ابنها او هدم باب الدار لان العروس اطول من الباب ولم تتوصل الى ان في الامكان دخولها الدار بعد ان تنحني قليلا وفي حكاية (السبع مطلقات) ، تلقى المطلقات السبع عند باب الجسر(٥٧) فقد بكرن في المجيء الى النهر لغسل ملابسهن ولم يفتح الباب بعد ، ومضين يحكين سبب طلاق ازواجهن لهن ، فقد اشعلت الاولى النار في ثوب زوجها لان الحطب عندها قد نضب لتدفيء الماء لزوجها من اجل الوضوء لصلاة الفجر . اما الثانية فقد حشت مخدة زوجها بطرف خروف وعندما جافت المخدة وسعى الدود منها ضربت الدودة الساعية على جبهة زوجها بحذائها ، اما الثالثة فقد سمعت بان

الخل يصنع من طريق غمس الزبيب بالماء ووضعه في الشمس . وعندما طلب زوجها صنع خل للاستعمال في شؤون الدار ، اكلت الزبيب وشربت فوقه الماء وجلست تحت اشعة الشمس اللاهبة اما الرابعة فقد ارادت الذهاب الى زيارة مرقد الشيخ عبدالقادر الكيلاني فقالوا لها انها لن تصل بغداد الا عن طريق نقلها بطرادة الى هناك ، فسدت بلاليع الدار وفتت الصنابير حتى طاف الفناء بالماء وجاءت بعد ذلك بالقصعة(٥٨) وجلست فيها وطافت فوق الماء لتصل الى بغداد . اما الخامسة فقد كان زوجها تاجرا . ذهب ذات مرة الى الحج فارادت الاحتفال بعودته فصفت الفناء بالصابون وبنت دكتين من الحناء ورشته بماء الورد فما ان دخل الزوج الدار حتى سقط وكسرت رجلاه . وكان زوج المراة السادسة تاجر قماش وقد خزن في الدار (طاقات) كثيرة من القماش ، وكان الزوجة ارادت ان تساعده فغسلتها جميعا بالماء والصابون حتى افسدتها ومزقتها . اما الزوجة السابعة فقد رقعت ثوب زوجها بقطعة من كرشه(٥٩) اعدتها لاكلة (باجة)(٦٠) دسمة .

ومن يمعن النظر في هذه الحكاية الطويلة والتي تكثر روايتها في العراق وخاصة في مدينة الموصل . يجد فيها سخرية لاذعة من المراة الغبية بل وتتهمها

الحكاية بانها السبب المباشر في الطلاق ولا حيلة للرجل ازاء غباء هاته النسوة غير الاقدام الى (ابغض الحلال الى الله) . وهناك ظاهرة بارزة في الحكاية العراقية بالنسبة لمسالة الطلاق فاننا لا نعثر على غير هذه الحكاية عن الطلاق والسبب في ذلك ان ظاهرة الطلاق نادرة جدا في العراق . قد يتزوج الرجل باكثر من امراة واحدة بل قد يتزوج اربع نساء ولكنه نادرا ما يطلق زوجته لان المجتمع ينظر الى الرجل المطلاق نظرة احتقار ، اما المراة المطلقة فهي امراة محرجة في نظر نفسها وغير محترمة في نظر المجتمع .

ان المجتمع العراقي ينظر الى المحارم نظرة خاصة وقد عجبت جدا عندما وجدت حكاية (الملك والخاتم) التي تروى ان ملكا ماتت زوجته الحبيبة، وقد اوصت ابنتها وهي تحتضر ان تزوج والدها بالمراة التي ينضبط خاتمها على اصبعها . سمعت الابنة لايجاد زوجة لوالدها حسب الشرط الذي ارادته امها فلم تجد ، ولاحظ الملك ان الخاتم منضبط على اصبع ابنته فقرر ان يتزوج ابنته ، ولكن الابنة استنكرت ذلك منه وعندما وجدت نفسها محاصرة من قبله لجات الى الحيلة ، فطلبت اليه ان يأتيها بجهاز العرس من الشام . وبعد ان سافر الى بلاد الشام تنكرت بملابس امراة عجوز

وهربت الى بلاد بعيدة تخلصا من خطيئة والدها . ان هذا النوع من الشذوذ معدوم في البيئة العراقية، فالاسرة العراقية تراعي المحرمات مراعاة كاملة ، وينظر الى المحرمات نظرة عفاف واجلال . اذن لماذا ظهرت مثل هذه الحكاية ، السبب بين وواضح ، انه تاكيد لفساد الحكام والملوك والولاة وخاصة في الفترة التي تعاقب فيها على العراق حكام اجانب لا يمتون الى العروبة بصلة .

وخطيئة الزواج بالمحارم خطيئة لا تغتفر ، فالصق الراوي هذه الخطيئة بالملوك ليبين لنا فسادهم وخروجهم على الشرع وبالتالي فهم ملوك فاسدون لا يستحقون سلطتهم حسب الشريعة الاسلامية . وتعكس الحكاية الشعبية العراقية الدور الذي تلعبه زوجة الاب في التضييق على اولاد زوجها واضطهادهم كما في حكاية (ست الستوت)(٦١) حيث اجبرت زوجة الاب والد الصغيرين على تركهم في العراء للتخلص منهما ولم تشعر بتانيب الضمير تجاه ذلك الفعل المنكر . وبدل ان تضع لهما زوادة يقتاتان بها اثناء تركهما في العراء وكما طلب زوجها منها ، تضع لهما بعرا وجلة(٦٢) مكان الخبز والتمر وتملأ لهما جرة بالبول مكان الماء ، وكانما تصبو الى القضاء عليهما . وليس هذا خيالا من راوي الحكاية وانما حقيقة واقعة ، فمن

المعروف في المجتمع العراقي كره زوجة الاب لاولاد زوجها فهي تتفنن في اضطهادهم ولا يمنعها حقدها من اماتتهم جوعا في الواقع المعاش ، ولكن الخيبة والفشل من نصيب زوجة الاب دائما في الحكاية الشعبية العراقية ، بينما يوفق الاولاد في حياتهم ويجدون العون اما من زوج يحب الفتاة الضائعة ويعنى باخيها كما في الحكاية السابقة ، او بمعونة قوة فوقية تساعد الفتاة وتأخذ بيدها حتى يتزوجها امير وتبوء زوجة الاب وبنانها بالخسران كما في حكاية (ابنة الاب)(١٢) الشبيهة تماما بحكاية (سندرلا) الغربية .

كما تعالج الحكاية الحقد الدفين الذي تنفثه الزوجة القديمة ضد ضرتها ، ومما هو معروف في واقع المجتمع العراقي الكره الشديد بين الضرائر حتى ذهب كرههم مثلا (لا حماة ولا ضرة سنخطة من الله) يقال لمن لا تشعر بالسعادة على الرغم من عدم وجود ضرة لها . ويعود السبب الى نظام تعدد الزوجات ، وقد انعكس ذلك في ضمير الشعب حكايات جميلة ففي حكاية (ست الستوت) ترمي الزوجة القديمة ضرتها في البئر وتتظاهر لزوجها بانها قد ماتت وان سبب مرضها – وهي تتظاهر بالمرض طبعا – يعود الى حزنها الشديد على موت ضرتها . وتطلب من زوجها ان يذبح اخ ضرتها

الصغير لانه مصدر الشر حتى يكتشف الزوج الحقيقة فينقذ زوجته الجديدة ويضع زوجته القديمة مكانها في البئر لتذوق الالام ولجني ما كسبت يداها . وتلعب الصداقة دورا مهما في المجتمع العراقي ، فكم من صديق هو افضل من اخ ويؤمن الانسان العراقي بالحديث الشريف (رب اخ لم تلده امك) وقد انعكست هذه الظاهرة حكايات اخلاقية في ضمير الفرد العراقي كما في حكاية (الصديق الوفي)(١٤) حيث يتستر الصديق على الجريمة التي ارتكبها صديقه ويكون مستعدا للتضحية بنفسه في سبيل صديقه .

(٥) تعكس لنا الحكاية الشعبية موقف الرجل مع المراة ، وموقف المراة من الرجل ومع ان المجتمع العراقي كان وما يزال مجتمعا ابويا اي أن السيطرة فيه تكون للرجل ، الا ان المراة حظيت بمكانة متميزة ينظر اليها باحترام من قبل الابناء والزوج لانها المحور الاساس في تدبير شؤون المنزل والمسؤولة المباشرة عن تنسيق امور الحياة داخله ، كما تبقى المراة الهدف المهم بالنسبة للرجل العراقي ، وسعي الرجل في الحصول على الزوجة امر ليس بالسهل، فقد يخوض صعوبات كثيرة حتى يحصل على الزوجة التي يريد ويقدم لها مهرا عاليا يكلفه مشقة كبيرة . وقد انعكس ذلك في ضمير الشعب حكايات

جميلة تشيد بشجاعة المراة وقدراتها الممتازة ، تحكي لنا حكاية (السبع بنات والسبعة بنين) عن قدرة المراة في مشاركة الرجل اعماله ، حيث تنجح الفتاة نجاحا عظيما في التجارة ، وتحتل مكانة مرموقة في سوق التجار حتى ان ابن الملك لايشتري سلعة الا من متجرها لما تتصف به من لباقة في البيع وقدرة على عرض افخر انواع الحاجيات والسلع في دكانها ، بل انها تغلب الرجال في هذا المضمار ، فبينما يخسر اولاد عمها في تجارتهم ويبددون ثروة والدهم ، تنمي المراة الثروة الصغيرة لابيها وتضحي من اغنياء المدينة المعروفين . ولم يات ربحها في الحكاية تدريا بل معللا فالفتاة تملك ذكاء خارقا وقدرات متميزة حتى انها تفحم ابن الملك نفسه . ومثل هذه الفتاة الماهرة في حرفتها ، (زوجة ملا ناصر الدين) في الحكاية التي تحمل نفس الاسم فهي التي تعيل زوجها الكسول ، وليس العكس ، ولكنها ليست امراة خاضعة للرجل ، فهي لا ترضى لرجلها ان يكون عالة عليها فتدفعه للعمل ، وعندما يتقاعس تشتري له حمارا وادوات عطارية وتعلمه البيع والشراء ، وتحول الانسان الكسول الى رجل كاسب ذي كرامة بعد ان كان رجلا خاملا يقتات على عناء غيره . ان القابليات الممتازة للمراتين كما

عرضت في الحكايتين تعكس حقيقة واقع المراة المجدة المكافحة في سبيل اسعاد اسرتها .

ومن المعروف في المجتمع العراقي ان المراة اذا توفي زوجها ، تحافظ على ذكراه وتسعى جاهدة لتربية اولادها دون ان تفكر في الزواج خشية على اولادها من احساسهم بفقدان الحنان وحرمانهم من عطف الابوين . وتعكس لنا الحكاية الشعبية هذه الظاهرة كما في حكاية (السعلوة وابنها والناسجتين) فعندما يموت الزوج لا تستكين الزوجة بل تعمل في غزل الصوف هي وابنتها ليعتاشا من هذا العمل وتقومان بالعناية بابن (الداميـة) ومن المعلوم ان المراة التي تفقد المعيل في العراق تعمل اما مربية واما غازلة للصوف ومن هنا يبدو ان ما عرضته هذه الحكاية مستمد تماما من واقع المجتمع العراقي .

وتعكس لنا الحكاية العراقية شجاعة المراة واخلاصها ووفائها لزوجها كما في حكايتي (الفتاة الباسلة شمس النهار ، والاشباح الثلاثة) ، فاذا ما ارادت امراة محتالة الايقاع بشمس النهار بعد غياب زوجها عن المدينة لعمل تجاري ، مع شاب فاسد ، تحتال شمس النهار عليه وتقتله لانه اراد ان يعبث بشرفها وتخفي جثته ، وتنتصر لشرفها حتى بعد الوشاية بها لدى زوجها من قبل العجوز

الماكرة وتترك زوجها الى اهلها حينما تتبين عدم ثقته بها ، وعندما يتاكد من كذب الوشاية ويدرك خطاه يسعى اليها مستغفرا .

لقد عرضت الحكاية نموذجين ايجابيين للرجل والمراة ولكننا عند دراستنا للشخصيتين وعقد مقارنة بينهما ندرك ان المراة في هذه الحكاية اكثر قدرة وذكاء وحنكة واعظم وفاء واخلاصا من الرجل .

ومثل هذا الموقف لاحترام المراة لنفسها وسعيها لان تحظى باحترام رجلها لها ، تعرضه حكاية (السمك في البطيخ ويمكرهن يصعدن المريخ)(٦٥) ، فقد تزوجها تاجر غني ، وودت ان تساعده في كل شيء ولكنه غلق الباب دونها وتركها اسيرة البيت ، فهو لا يثق بالنساء مطلقا ، حاولت ان تفهمه بأن المراة قادرة على صيانة عفافها ان ارادت والا فلا يستطيع احد ان يقف بوجه نزواتها وخيانتها لزوجها ولكنه لم يصغ اليها فقررت ان تؤكد قولها عمليا ، احدثت ثقبا في الحائط وطلبت الى متسول ، (اعطته نقودا) أن يشتري لها سمكا وطلبت الى زوجها ان يشتري بطيخا . وبعد ذهاب زوجها الى متجره ثقبت البطيخ وافرغته من حبه وحشته سمكا ، وعند عاد في المساء وجلس للعشاء

راحت تقشر له البطيخ فظهر السمك في داخله ، اقنعته زوجته بان هذا البطيخ حبه سمك . تملكته الدهشة وفي اليوم التالي ذهب التاجر الى بائع البطيخ وكسر جميع البطيخ في الدكان فلم يجد في داخله سمكا ، فارتج عليه الامر ، وشاع في المدينة ان الرجل قد جن ، ولكن زوجته حكت له القصة كاملة واعادته الى صوابه ، فادرك خطاه ووضع ثقته بها وسلمها مفتاح الدار ولم يعد يقفل الباب دونها .

والمراة لا تقف موقفا سلبيا من الزواج كما لم تقف موقفا سلبيا من الحياة ، فهي التي تختار زوجها حسب مواصفات معينة وترفض ان تقاد اليه دون ارادتها . ويكثر الحديث في الحكايات العراقية عن المراة التي لن يفوز بالزواج منها الا من اجتاز الامتحان الصعب الذي تضعه للزواج بها ، والا يعرض نفسه للموت . ومثال ذلك حكاية (الاشباح الثلاثة) فان ابنة الملك وابنة الوزير وابنة القاضي يبارزن من يتقدم للزواج منهن وقد مات الكثير من الفرسان دون ذلك ولكن محمد الابن الاصغر لزعيم الدولة المجاورة لدولتهن يفوز بهن جميعا . وتستعصي ابنةالملك على ابن سلطان دولة نزحت اليها ، فقد غيرت زيها مرات عدة حتى كادت

تذهب بعقله وبعد ان تاكدت من حبه لها تزوجته في حكاية (الملك والخاتم) .

وترفض (الخنفساء)(٦٦) في الحكاية التي تحمل نفس الاسم ، الزواج من البقال والقاضي والعطار وتزوجت من الجرذ لانه احبها وقدرها حق قدرها . وبعد ان مات لطمت خديها وقررت الا تتزوج احدا من بعده لقد فضلت الجرذ الحقير على ذوي الشأن (البقال والقاضي والعطار ، لانه اعطاها مكانتها التي تستحقها في نفسه .

وتبدو المراة مثالا للوفاء في الحكاية الشعبية العراقية ، حيث تبقى الاخت الصغيرة وفية لزوجها بعد طلاقه لها في حكاية (ابن الملك والبنات الثلاث) وحين يكتشف وشاية اختها ويدرك خطاه يأتيها مستغفرا ذليلا بينما تبقى هي محافظة على كرامتها وشخصيتها دون ان تتذلل او تخضع .

وتبقى الخطيبة محافظة على عهدها لخطيبها المحبوب كما في حكاية (عدو المراة) وبعد ان يقتل تتنكر في ملابس الرجال وتقتل قاتله وتاتي برأسه الى قبره . ثم تحفر قبره وتضرب نفسها بالخنجر وتدفن معه . لقد عكست الحكاية الشعبية العراقية حقا واقع المراة العراقية الوفية المخلصة الصبورة المكافحة ، ولكن المجتمع لا يخلو من نساء سيئات

يتمثل فيهن الحقد والخيانة والغدر وسوء الخلق والسقوط ، فبقدر ما تكون الاخت الصغيرة حسنة الخلال جميلة الخلق تكون الاختان الكبرى والوسطى حقودتين غيورتين لا تتورعان عن ارتكاب اية جريمة في حق اختهما الصغرى غيرة وحقدا وحسدا كما في حكاية (ابن الملك والبنات الثلاث) انفة الذكر . وبقدر ما تكون الحرة الوفية لزوجها حسنة المعشر جميلة التكوين تكون العبدة خائنة لزوجها سليطة اللسان قبيحة الشكل لا تتوانى عن قتل زوجها اذا تمكنت في نفس رجل اغنى او اجمل كما في حكاية (عدو المراة) مثلا .

وتصور المراة العجوز في الحكاية العراقية دائما تصويرا سيئا فهي محتالة واشية سيئة المعشر قبيحة المنظر والمخبر .

وفي الحكاية العراقية تجسيد للمراة الخائنة لزوجها مع خادمها والتي لا تتوانى عن قتل الزوج بالمشاركة مع الخادم العشيق ليخلو لهما الجو وينعمان بالخطيئة كما في حكاية (الرجل الذي لا يعرف الخوف) على سبيل المثال .

وقد ترتبط الخيانة بالاحتيال كما في حكاية (الرجل الغريب واللص العجيب)(٦٧) فبالاضافة الى خيانتها لزوجها وكرهها له تظهر امامه بمظهر

المراة الورعة فهي تستحي من القط والشجرة والطيور التي في الدار ولكنها لا تتوانى ان تطعم الطعام لعشاقها واذا ما عاد زوجها في المساء ليتعشى ، تدعي بان الدجاجة طارت من القدر ، والسمكة صرخت في المقلاة فخر عقاب وانقذها من القلي . فاذا ما شك في سلوكها وراقبها اتضح له سوء سلوكها واحتيالها فيطلقها ويتخلص من شرها .

وتحتل المراة الغبية مكانة بينة في الحكاية العراقية كما في حكايتي (المراة والنعجة ، والسبع مطلقات) اللتين تحدثت عنهما فيما سبق .

(٦) كان المجتمع العراقي في الماضي يقوم في بنائه الاجتماعي على اساس الطبقات وكان يتكون من اربع طبقات الطبقة الحاكمة وقادة الجيش ، الطبقة الوسطى ، الطبقة العامة ، طبقة العبيد ، وقد الغيت الطبقة الاخيرةمع الغاء الرق . وتكشفت الحكايات العراقية الشعبية عن الصراع الطبقي وعلاقة الجماعات الشعبية بعضها بالبعض الاخر. ولكن هذا الصراع الطبقي لا يظهر بشكل صراع جماعي منظم ، بل يبدو في شكل صراع فردي ، ولا تنسى الحكاية الشعبية ان تحقق انتصار الفقير على الغني ، وبمساعدة قوة خارقة خارجية في

الغالب ، ففي حكاية (الجندي والملك) يطرد الملك جنديه المخلص والذي تفانى في خدمته لانه شاخ ؛ تألم الجندي كثيرا من سلوك الملك تجاهه فترك مملكته وطاف في ارجاء الارض وذات يوم عضه فيه الجوع بنابه لجا الى كوخ عجوز ساحرة آوته واطعمته وطلبت اليه مقابل ذلك ان يخرج لها الشمعة السحرية من البئر ، احس الجندي بغدر الساحرة له فرفض ان يسلمها الشمعة الا بعد اخراجه من البئر ، غضبت الساحرة وقطعت به الحبل ، وما لبث بعد اشعال غليونه بالشمعة السحرية ان انبعث عفريت يصيح لبيك لبيك ، ثم اصبح الجندي اغنى رجال المملكة واراد ان ينتقم من الملك فامر العفريت ان ياتيه بابنته في كل ليلة وعندما حاول الملك ان ينتقم لشرفه امر الجندي عفريته ان يضرب الملك وحاشيته بالسياط فخاف الملك شر العفريت وزوج الجندي من ابنته ، وبعد ان مات الملك اصبح الجندي ملكا على المملكة وعاش عيشة سعيدة .

وقد ياخذ الصراع الطبقي اسلوبا رمزيا فيتخذ الراوي من الحيوانات شخوصا لتحديد الصراع بين القوي والضعيف اي بين الغني والفقير كما في حكاية (الشاهد الذي يحلف بالتبن)(٦٨) فعندما اغرى الثعلب الذئب لاكل الخروف لم

يستطع الخروف الدفاع عن نفسه الا بمساعدة الكلب ، ان الصراع بين الذئب والخروف صراع طبقي ولكنه لم يحقق فوز الخروف على الذئب الا بمساعدة قوة خارجية ، ليست ميتافيزيقية هذه المرة ، بل خارجية ايضا .

لقد كان الفرد العراقي يعتقد اعتقادا جازما بان توزيع الارزاق من الله ولكنه على الرغم من هذا الاعتقاد كان يقف حائرا تجاه هذه المعضلة ويحاول ان يجد لها تفسيرا . ولكن هذا التناقض في توزيع الارزاق والايمان بعدالة الله ، كان شيئا متناقضا غير مقنع في لا شعوره ، ولكن شدة ايمان الانسان العراقي بان الخير والشر من الله وبانه جعل الناس طبقات ومراتب وفضل بعضهم على بعض في الرزق لأمر قد يخفى على البشر الفاني ولكن فيه حكمة ربانية خاصة . لذا نجات الحكاية العراقية الى انتصار الفقير على الغني بوسائل الشطارة والاحتيال والسرقة احيانا لكي يصبح الفقير غنيا ويرتاح السامع عند رواية الحكاية وينام نوما هنيئا دون التفات الى المواصفات الاخلاقية او التعاليم الدينية كما في حكاية (الرجلان العاملان)(٦٩) اخوان فقيران ،الكبير جاد في العمل بينما يميل الصغير الى الكسل ولا يحب العمل . وفي يوم لا يجدان فيه عملا يأتيهما شيخ يطلب اليهما العمل

عنده على شرط ان يشد عينيهما وهو ياخذهما الى مكان العمل ، يرفض الاخ الكبير ويوافق الاخ الصغير على ذلك . يطلب الشيخ الى الاخ الصغير عزل الدنانير عن الدراهم في قبو القصر ، يسرق الاخ الصغير الشيخ مدة العمل . ثم يموت الشيخ بلا وارث وتبيع السلطة قصر الشيخ فيسرع الاخوان الى شرائه من المال المسروق ، ويمضي الاخ الصغير الى اخراج الكنز من القبو ويصبحان من اغنياء المملكة . ان الصراع الطبقي هنا لم يأخذ شكله الايجابي بقدر اهتمامه بالجانب السلبي الذي حول الفقراء الى اغنياء عن طريق آثم هو طريق السرقة . والسبب في ذلك يعود الى عدم تبلور فكرة الصراع الطبقي الجماهيري ، فقد كان العراق انذاك يرزح تحت نير التسلط الاجنبي والجهل والتخلف .

(٧) ان الانسان العراقي لم يعش لنفسه او لجماعته فقط بل كان يولي اهتماما خاصا للاحداث التي تجرى خارج بيته ، الى الدولة التي يعيش في ظلها « وحيث ان الادب الشعبي لا ينسب الى مؤلف بعينه ، فانه لهذا السبب يتسم بالصراحة والصدق والحرية في التعبير عن مشكلات الحياة التي يعيشها الناس »(٧٠) . لقد حلم الشعب العراقي دائما ان يحكمه حاكم عادل يتصف بالحكمة والنزاهة ورجاحة العقل والا فان الفساد يستشري والظلم

يعم والاحوال تضطرب . وقد لجا الراوي الشعبي الى الفكاهة والسخرية من الحكام السفهاء غير العادلين والظالمين الضالعين في الفساد . وقد اتخذت الحكاية العراقية من شخصية (قرة قوش) مثالا لفساد الحكم والظلم وفقدان العقل والعدالة . كما في حكاية (قرة قوش والصياد)(٧١) ، مر رجل في السوق فعثر بمكوك الحائك فسقط ودخل المغزل في عينه ففقاها . اشتكى الرجل الى قره قوش الذي امر بسمل عين الحائك . احتج الحائك بانه يحتاج الى عينيه بينما لا يحتاج الصياد الا الى عين واحدة . فاطلق قرة قوش سراحه وامر بقلع عين الصياد ؛ توسل اليه الصياد ان يطلق سراحه مقابل ان يعلمه لغة الطيور . وذات يوم خرج قرة قوش مع الصياد ليتعلم لغة الطيور فشاهدا بومتين واقفتين على خربتين . سال قرة قوش الصياد ماذا تقول البومتان اجابه الصياد « الواقفة على التل الايسر تخطب لابنها بنت البوم الواقفة على التل الايمن فردت هذه الاخيرة طالبة من ام الابن ، خربة لتسكن فيها مع اولادها فرجعت الاولى قائلة : بل بعشر ضرائب اذا كان حكم مولانا الامير قرة قوش عادلا حكيما بمثل هذه الدرجة »(٧٢) . فغضب قرة قوش وامر باعدام الصياد . وبينما يضع الجلاد الحبل في عنق الصياد

جاءه رسول من حماته يخبره بانها تطلب اليه ان يحضر اليها الماء لان السقاء لم يات ذلك اليوم ولم يبق لديهم ماء ، وشاهد الصياد فتاة اثارته ، فضحك الصياد واغرق في ضحكه ، وكان قره قوش حاضرا يرتب الاعداد لاعدام الصياد . فدهش وطلب الى الصياد ان يذكر له سبب ضحكه ، فقال له الصياد : لقد ضحكت على ثلاثة امور ، على عقلك وعقل حماتي وعقل .... فضحك قرة قوش وامر بطرد الصياد من حضرته فخرج الصياد غير مصدق .

ولم تكتف الحكاية بالسخرية من الملوك بل سخرت من قضاتهم ايضا . والمفروض بالقاضي ان يكون مثالا للنزاهة والعدل في الحكم ، ولكن قضاة الملوك العتاة مرتشون قليلو العقل يصدرون احكاما اعتباطية وهم مثال لفقدان العدالة كما في حكاية (القاضي والخباز)(٧٣) : فقد كان القاضي يخاف زوجته فهي كثيرة الاحتقار له ، لا تعد له طعاما ولا تعنى بشؤونه . (والقاضي هذا من بلاد الارنوط(٧٤) اي انه اجنبي عن العراق) . مر القاضي ذات صباح بمخبز على الطريق وكان جائعا فاسكرته رائحة الشواء المنبعثة من ديك يشوى ، دخل المخبز واستولى على الديك وعندما احتج الخباز ، اجابه القاضي اخبر صاحب الديك بان ديكه قد

طار . اخبر الخباز صاحب الديك بان ديكه قد طار ، غضب صاحب الديك واشتبك مع الخباز فتقدم يهودي لاصلاح ذات البين فدخلت اصبع الخباز في عينه وفقأتها . هرب الخباز فلحق به الرجلان دخل في زقاق مسدود ، ثم دخل جامعا وتسلق المنارة فلحق به الرجلان قفز على الارض فوقع فوق رجل مريض كان أخوه قد وضعه تحت المنارة طلبا للشفاء ، فمات المريض ولحق به الاخ ايضا . دخل زقاقا اخر ، وعندما حوصر قفز فسقط فوق امراة حبلى فاجهضها . فتبعه زوجها ايضا . وصل الخباز الى دار العدل فما ان رآه القاضي حتى ساله عن امره ، فاشتكى صاحب الديك فاخبره القاضي ان الله يحيى العظام وهي رميم واتهمه بالكفر اذا لم يصدق قول الخباز ، واشتكى اليهودي فطلب الى الخباز ان يفقأ عينه الاخرى لكي يفقأ اليهودي عين الخباز لان نصيب الدمي نصف نصيب المسلم فهرب اليهودي وترك دعواه. واشتكى اخ الميت فطلب اليه ان يصعد فوق المنارة ويقفز منها عدة مرات حتى يميت الخباز فهرب ، واشتكى الزوج فطلب اليه أن يعير زوجته الى الخباز لكي يعيد حملها .

بهذه السخرية اللاذعة نقدت الحكاية الشعبية الملوك واتباعهم من القضاة، بل انها صورت الفوضى

التي كانت تعيشها المدن فلا امن ولا استقرار بل نهب وسلب وسيطرة اللصوص والقتلة على رقاب الناس بحيث يلجأ الملك في حكاية (اللص)(٧٥) الى اللص الذي عاث في الارض فسادا ونهبا ليكون رئيسا للشرطة وافراد عصابته شرطة للمحافظة على الامن والاستقرار . وتعرض حكاية (فلتانة دائرة سي)(٧٦) نفسي المضمون فلا يجد قائد الجيش وسيلة لاعادة سيطرته القديمة بعد ان خسر الحرب وعد من القتلى غير قطع الطريق وسلب الناس حتى عند دفن موتاهم في المقابر ولم يتوان من ان ياخذ جباية من السلطان حين دفنه لابنه . لقد كان الانسان الشعبي يبرز عبر حكاياته ما يلمسه من عيب في ظل النظام السياسي الذي يعيش فيه ، وكان يدرك ان هذا الفساد لا يمكن معالجته الا بالثورة ضد النظام وقلب نظام الحكم كما في حكاية (ملكا العراق والهند)(٧٧) حيث يثور الشعب ضد الملك المستبد وينتخب ملكه ويتشرد الملك المخلوع ويأتي الى العراق طالبا اللجوء عند زوج ابنته ولكن ملك العراق يخاف على مكانته في نظر شعبه فيطرد والد زوجته .

وتمعن الحكاية الشعبية في الحقد على الملوك الطغاة ، والامل في الانتقام منهم لظلمهم وازهاقهم للارواح كما في حكاية (الاشباح الثلاثة الابيض

والاسود والاحمر) حيث تهب ارواح الرجال الذين ازهقها الملك دون وجه حق للانتقام من روح الملك خلال ثلاثة ايام من وفاته قبل صعودها الى السماء.

وقد لجأ الراوي الشعبي الى الرمز للملوك الطغاة بالحنافيش والديوات والداميات فهم لظلمهم وفساد حكمهم وسوء طبعهم وضعف عقلهم بدوا في نظر الانسان العراقي بشعي الشكل وسيء السلوك فهم اقرب الى الوحوش منهم الى البشر مثل الحكايات التالية (الحنفيش ، الثاني عشر ، الامير نور الزمان والاميرة فتيت الرمان) .

ان الحلم الذي راود الانسان المستعبد في العراق بملك عادل شجاع يتمتع بخلال ممتازة انعكس ما في ضميره من مثال لهذا الحاكم العادل حكايات على افواه الرواة مثل حكاية (الرداق السحري)(٧٨) : فقد اراد الملك ان يجرب ابناءه الثلاثة لينتقي منهم من يستحق ولاية العهد ، خرجوا لاثبات جدارتهم امام والدهم فمروا في طريقهم برجل شيخ دلهم على طريقين يقودان الى الخير والبركة وطريق ثالث يقود الى الموت لانه طريق الصد ما رد . اختار الاخوان الكبران الطريقين السهلين واختار الاخ الصغير الطريق الصعب . استطاع الاخ الصغير بعد صراع طويل

مع الشر والاشرار ان يفوز بالرداق السحري وما ان فتحه حتى خرج منه جيش لجب مدجج بكامل السلاح ، مضى به الاخ الصغير ليفتح الامصار ويخلص الشعوب من ملوكها القساة واخيرا وصل الى بلده فوجد ان والده قد مات وان اخويه يتطرعان على الحكم . وما ان راى الشعب اميره المحبوب قد عاد حتى التف حوله واصبح ملكا على البلاد لينشر العدل والخير والاصلاح .

(٨) لقد كان لانتشار الفوضى في ابلاد وفقدان الامن الاثر الكبير في اختزان الناس نقودهم تحت الارض في حفر يضعون فيها النقود ويطمرونها داخل الارض ، وما ان يعود الامن حتى يخرجون نقودهم . وكنا نسمع والى فترة قريبة بالكنوز التي يعثر عليها الناس اثناء هدمهم للدور او حفرهم في الارض للبناء. وقد عكست الحكاية الشعبية هذه الظاهرة كما في حكايتي (اللغز ، وصاحب الخيمة الزرقاء) الانفتي الذكر .

ثالثا ـ التاثير النفسي الشعبي في الحكاية الشعبية :

عاش الشعب العراقي قرونا طويلة تحت ظل القهر والاستبداد والفقر وانتشار الجهل والمرض ولم يكن متوسط الدخل الفردي الشهري يزيد على ثلاثة دنانير وكان الجميع يعيشون عيشة الكفاف ، وتسكن الاسرة برمتها ، وتتكون من الجد والجدة والعمات والاباء والامهات والاحفاد واولاد العم في دار واحدة لا يزيد عدد غرفها على غرفتين وفناء مربع صغير مكشوف . ولا تزيد مساحة الغرفة الواحدة عن اربعة امتار واذا اتسعت كثيرا تصبح ستة امتار تحت سيطرة اقتصادية تتمثل بدكتاتورية الاب ، ويحترف جميع الابناء والاحفاد حرفته ويسلمونه كل دخلهم وهو الذي يتحكم في تدبير شؤون الاسرة وتزويج الاولاد والبنات . وكان الغذاء الرئيس لهم الخبز والتمر واللبن وبعض البقول كالحمص والعدس والباقلاء وبعض الخضار كالبصل

والكرافس والفجل والخيار والبطيخ في الصيف ، وقد يستعمل الرجل شمعة واحدة خلال شهر كامل لانه لا يحتاج الى النور في المنزل ، فقد اعتاد الناس النوم بعد صلاة العشاء مباشرة . اما وسائل التسلية فلا تتعدى الجلوس في ديوان المختار او الرجل الغني في الحي اذا ما استثنينا الاعراس والمناسبات كالعيدين ورمضان ومناسبات الزواج والطهور وما الى ذلك .

ان القهر الذي عاشه الشعب العراقي دفعه الى الحلم بكل الاشياء التي يتمناها ولا يستطيع تحقيقها في عالم الواقع فحققها عن طريق الخيال والاحلام معكوسة في الحكايات الشعبية وقد الغى حدود الزمان والمكان ومال زمنه النفسي حلما مشعا يعوض عما يشعر به من حرمان وظلم في واقع حياته. « فالبطل هو تلك الشخصية الخيالية التي كانت بمثابة مشجب علق عليها كل طموحه وآماله ، كان يصل حتما الى ماربه فيتزوج من الاميرة وان كان قد نشا في بيئة فقيرة او يحصل على الشيء السحري وان كان هذا الشيء لا وجود له الا في العالم العلوي او في العالم السفلي . وهو لم يصل الى ذلك بمشقة وجهد حقيقيين بل كان يصل اليه بمعونة الادوات السحرية والشخصيات الخيرة . حقا ان الشخوص المهولة او الشريرة كانت تعترض طريقه ولكنه سرعان

ما كان يجد في انتظاره من يخلصه من تلك الشخوص فاذا هو حصل على الشيء البعيد المنال عاد مرة أخرى الى عالمه الواقعي وقد حقق الشيء المعجز»(٧٩).
وقد انعكست الرغبات المكبوتة للشعب العراقي في الحالات التالية :

(١) الوصول الى الخلود والقضاء على الموت والعودة الى الشباب تارة بالحشيش السحري الموجود في عالم مسحور محفوف بالمخاطر والاهوال وتحرشات العفاريت المزعجة واصوات الغول المصمة للاذان ، والاشباح المفزعة المتراقصة امام العينين فمن التفت الى الوراء تحول الى تمثال حجري كما في حكاية (التفاحة المسحورة) او الرمان الذي يهلهل والتفاح الذي يصفق وهو موجود وراء البحار السبعة ايضا في بلاد الواق واق في بستان تحرسه سعلوة اذا صرخت غار الانسان في الارض وابتلعته برمشة عين كما في حكاية (جنجل وجنيجل وزين بن ربابة) .

والبطل في جميع الحكايات من هذا النوع يمتلك صفات خارقة وبطولة نادرة وشجاعة قاهرة. فزين بن ربابة على سبيل المثال مشى في اليوم الثالث من مولده وتحدث في اليوم الرابع وبلغ مبلغ الرجال بعد شهر واحد وكان يمتلك قوة نادرة فلا يستطيع

جيش كامل قهره . وكان الراوي خلق هذه الشخصيات ليصبح العالم نسخة من بطله المحبوب الذي يتخطى كل الصعاب والخطوب بروح متفائلة مرحة وينتهي دائما الى الفوز ويحقق احلامه وآماله ويعيش عيشة سعيدة راضية بعد اجتيازه المحنة وكان الراوي عاد ليصور لنا كمال الحياة في حكاياته.

وتقف الى جانب البطل في جميع الاحوال قوى خيرة تساعده على اجتياز المهمة بنجاح ، قد تكون حيوانا كالطائر الضخم الذي طار بالبطل واوصله الى مكان الشجرة السحرية في الحكاية الاولى او شيخ محنك طيب جرب الحياة فازداد حكمة ونبلا كما في الحكاية الثانية ، او جان يسخر لخدمة البطل كما في الحكاية الثالثة .

(٢) راود الانسان منذ القديم حلم يتجاوز المسافات وقطع الاجواء كما تفعل الطيور وتحول هذا الحلم الى عقيدة راسخة بان الرجال الاتقياء يستطيعون تجاوز المسافات واذا ما ندبتهم تجدهم قد حضروا الى جانبك ، وانسحب هذا الاعتقاد على الشياطين والجان والعفاريت . وقد انعكس هذا الحلم الذي انطبع في ضمير الشعب الى حكايات شعبية ، فالانسان يتحول عصفورا في حكاية (القصر المسحور) يقطع المسافات كما يريد ، فاذا ما اراد

يبدو ان ما تمناه الانسان العراقي من عصا سحرية وطاقية اخفاء وخف يطير به في اجواء السماء لم يكفه لقهر حكامه فهم نتيجة جبروتهم وسطوتهم اشداء اقوياء في نظره فاخترع خياله (البراق السحري) في الحكاية التي تجعل نفس الاسم ، الذي يضم جيشا لجبا مدججا بالعدة والسلاح يقهر الجيوش مهما بلغت من جبروت وقوة ويذل الملوك ويجعلهم ينحنون طاعة ويرتجفون فرقا وخشية .

(٣) لقد حوصر الفرد العراقي باحزان كثيرة ، الفقر والمرض والقهر والفقدان والكبت ، وبقيت المراة بالنسبة للمحرومين ملاكا قدسيا بعيد المنال ، لذا حلم العراقيون بالحوريات ، ولم تكن الحوريات للاتقياء الورعين في الجنة بل هناك حوريات البحار والانهار يمكن ان يصطادهن الصيادون بل يمكن ان تكون اية سمكة يشتريها انسان حورية متى خلعت جلد السمكة استوت فتاة جميلة مشتهاة ذات شعر اصفر وبشرة بيضاء وعينين زرقاوين ، ليست سمراء ولا عوراء ولا عرجاء كزوجته التي اتت بها امه ولم يكن قد راها ابدا قبل ليلة الزفاف . لقد كان الانفصال بين عالم الرجال وعالم النساء تاما حتى ان ابنة العم لا تظهر امام ابن عمها واو كان خطيبها . نتيجة لهذا الانعزال التام بين عالم النساء

الاستقرار نزع جلد العصفور واستوى انسانا عاديا، وهذا الحلم ما زال يراود الناس البسطاء ويرددونه على السنتهم وفي اغانيهم .

كما راود الحصان الطائر آمال الانسان الفقير المسحق وازداد ايمانه بذلك بسبب اسراء الرسول على البراق تترددت هذه الاماني والاحلام في الحكاية الشعبية ، حيث اعطى العفريت للشواك حصانا طائرا نقله الى مملكة الجان في حكاية (الشواك والابطال السبعة) .

وقد يتطرف الحلم في خيال افراد الشعب المحروم فيتمنى لو يمتلك خفا ينقله الى اي مكان يريد ويختزل المسافات ويطير به عبر البحار والصحارى وقد انتزع هذا الحلم مما يشيع عن الساحرات بانهن يطرن ممتطيات المكنسة او زير الماء ويطلقون عليهن (ركبات الحب) في اللغة العامية. ويجمع الحلم بالانسان فيتمنى لو يستطيع الاختفاء عن اعين الناس ويتصرف كما يشاء دون ان يراه احد وتفجر خياله عن طاقية الاخفاء ولم يكتف بذلك فهو يريد ان يقهر جميع اعدائه بضربة واحدة ، لقد سحقه النظام الفاسد واذله الحكام وقهره القضاة وابتزته الشرطة لذا فهو يبحث عن عصا سحرية تقهر جميع هؤلاء الاعداء وتذلهم وقد حوت حكاية (الشيخ الساحر) جميع هذه الاحلام والرغبات المكبوتة .

والرجال ؛ حلم الفرد العراقي دائما بالمرأة المشتهاة بالحورية فقد انقلبت السمكة التي اصطادها الصياد في حكاية (جهل الانسان ومجازاته الاساءة بالاحسان) فتاة باهرة الجمال ، وما ان طلبت اليه طلاق زوجته القديمة حتى صدع بامرها ، وعندما اختفت كاد ان يفقد صوابه ولكن الحلم جعلها تحبه كما احبها فترجع اليه مشتاقة والهة .

(٤) لقد حرم الانسان العراقي من اطايب الطعام منذ قرون طويلة عاناها من خلال فقره وقهره فقد كانت الفاكهة شيئا كماليا لم تكن تذقه الا في المناسبات ، اما الحدائق والجنات فكنا نقرأ عنها في القرآن ونسمع عنها في الحكايات وتقترن دائما بالظباء والفتيات الحسان وقد انعكس كل هذا الحرمان حكايات حالمة كنا ننام وسط احلامها الوردية على نغمات الرواية وهي تقص لنا حكاية (الجنية التي لبست جلد الظبية) فقد كانت تذهب الى حديقة الملك وبعد ان تنزع جلدها وتستوي فتاة جذابة الجمال تملأ السلال بالفاكهة وتأتي بها اسرتها الفقيرة ولم يكن حلم الرجال بالفتيات الجميلات فقط بل كان حلم النساء بالرجال الجذابين الابطال فكم من فتاة حلمت بان يخطفها فارس جميل وينتقل بها الى عالم جميل

عالم الاحلام والخيال لذا شاعت الحكايات التي تروى خطف عفريت لفتاة ، يبدو لها ليلا في اجمل شكل واعذب حديث كما في حكاية (اغات اوف) ، « وكثيرا ما تحكي حكاياتنا زواج الابنة ... من رجل غير طبيعي ... يبدو في الليل طبيعيا ثم يحرم على زوجته الا تبوح بسره والا اختفى وعليها أن تخوض الاهوال حتى تعثر عليه »(٨٠) .

وقد خلق خيال الراوي العراقي من قصور الخفافيش والفيلان الحلم الذي راود مشاعر الانسان العراقي فاسكن هذه المخلوقات البشعة الشريرة القريبة من اوصاف الحيوانات الضارية قصورا تضم اربعين غرفة (تعويضا عن الدور المهدمة الصغيرة الرطبة التي كانوا يقطنونها) وحدائق غناء فيها ما تشتهي الانفس من الثمار والازهار والطيور ، ووضعوا في قصورهم اثاثا فاخرا ، وضمت موائدهم طعاما شهيا مما تشتهي الانفس وترغب العين ووضعوا في خزائنهم مالا وفيرا ذهبا رنانا وجواهر من جميع الانواع والالوان كما في حكايتي (الحنفيش والشواك) على سبيل المثال كتعويض لما كانوا يعانونه من فقر وحرمان .

(٥) لقد كان المال نزرا جدا في ايدي الناس ولم يكن الفرد العراقي يحصل على الدرهم الا بعد مشقة وعناء ، وقد راود حلم المال خيال الناس

ومشاعرهم فرويت حكايات عن المال الذي يهبط على الانسان دون عناء ومشقة ففي حكاية (الدرويش) ينهمر المال على الرجل الفقير من خطيب ابنته الذي لا يعرف عنه شيئا كما يأتي المال منقادا الى الرجل الكسول في حكاية (الرجلان العاملان) .

اما العثور على الكنز فقد راود احلام الناس دائما وكنا الى فترة قريبة اذا ما حاولنا ان ندق الارض ونسمع رنينها في اقبية البيوت تحلم بالكنز الموعود ، وما اكثر الناس الذين خدعهم الصوت وحفروا اقبية بيوتهم ، وربما سقطت البيوت من جراء هذا الحفر ؛ ولم يعثروا على شيء غير السراب : فلم يجد الشعب الفقير وسيلة غير الحلم الذي يودعه الحكايات المروية لينام على نغمات رنين الذهب ؛ كما في حكايتي (اللغز ، وصاحب الخيمة الزرقاء) وقد يتحقق حلم المال عن طريق قوى خارقة تحققها كالملوة مثلا فتمنح المرأة الفقيرة وابنتها غزلا لا ينضب يدر عليها مالا وفيرا كما في حكاية (الملوة وابنها والناجتين) .

(٦) وكان الراوي اراد تحقيق الحلم كاملا وتطمين جميع الرغبات المكبوتة فجمع كل ما

تشتهي النفس وتتمنى الرغائب في خاتم سحري ينبعث منه مارد جبار يحقق لصاحب الخاتم كل ما يريد او يشتهي بخضوع وخنوع وهو يردد لبيك لبيك ، فيبني القصور ويملأ الخزائن بالمال والذهب والمجوهرات ويخيط الملابس ويعد الوائد ويأتي بالاحباب والفتيات ويبيد الاعداء ويقهر الملوك ويضربهم بالسياط ويطير بصاحبه قاطعا المحيطات والاراضين . وقد شاع ذلك في الحكايات العراقية شيوعا كبيرا وناخذ على سبيل المثال حكايتي (الرفق بالحيوان والملك والجندي) .

ان الحكاية العراقية تسعى الى تحقيق الحياة المثلى التي كان يحلم بها الشعب العراقي فهي تعبر عن الصراع الذي يعتلج في نفس الفرد العراقي ؛ ولكن هذا الصراع خال من المعاناة الحقيقية لانه يحقق كل مايريد بمجرد الاسترخاء واطلاق السراح لخياله واحلامه فتتم له حياة مثلى كاملة الجوانب دون ان يجهد نفسه في عالم الواقع لتحقيقها . وما ذلك الا تعويض عما حرم منه في بيئته .

المصادر :

(١) احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، وزارة الارشاد ، بغداد ١٩٦٢ .

(٢) عبدالحميد يونس ، الحكاية الشعبية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

(٣) عز الدين اسماعيل ، القصص الشعبي في السودان ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٤) عمر الطالب ، الحكاية الشعبية العراقية : مخطوط .

(٥) كاظم سعد الدين، الحكاية الشعبية العراقية، مجلة التراث الشعبي، دار الحرية، بغداد ، ١٩٧٢ .

(٦) نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير في الادب الشعبي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، بلا .

(٧) نبيلة ابراهيم ، قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٤ .

(٨) يوسف قصير ، الحكاية والانسان ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠ .

(٩) يوسف قصير ، حكايات وفلسفة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٧٦ .

الهوامش

١ ـ الحكاية الشعبية ص ١٠ .
٢ ـ القصص الشعبي في السودان ص ٨ .
٣ ـ الحكاية والانسان ص ١٦٠ .
٤ ـ القصص الشعبي في السودان ص ١٤ .
٥ ـ الحكاية والانسان ص ١٧٥ .
٦ ـ م.س ص١٨٦ .
٧ ـ التراث الشعبي . العدد ١٠ ، ١٩٧٢ ص ٩ .
٨ ـ اشكال التعبير في الادب الشعبي ص ٩٧ .
٩ ـ ينظر كاظم سعدالدين ، الحكاية الشعبية العراقية ،مجلة التراث الشعبي ، العدد ١٠ ، ١٩٧٢ .
١٠ـ الحكاية والانسان ص ١٥١ .
١١ـ ينظر المصدر السابق .
١٢ـ القصص الشعبي في السودان ص ٤٢ .
١٣ـ الحكاية والانسان ص ٩٩ .
١٤ـ الحكاية والانسان ص ١٤٠ .
١٥ـ حكايات وفلسفة ص ١٥٦ .
١٦ـ الحكاية والانسان ص ٦٠ .
١٧ـ م.س ص ١٢٠ .
١٨ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٤٩ .
١٩ـ الحكاية والانسان ص ٥٤ .

٢٠ـ مجموعتي الخاصة ، مخطوطة وهي ملحقة بهذه الدراسة.
٢١ـ حكايات وفلسفة ص ١٢٠ .
٢٢ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٨٩ .
٢٣ـ م.س ص ١٠٢ .
٢٤ـ الحكاية والانسان ص ٩٤ .
٢٥ـ حكايات وفلسفة ص ١٥٢ .
٢٦ـ مجموعتي الخاصة ، وهي منشورة بكاملها في ملحق هذه الدراسة .
٢٧ـ حكايات وفلسفة ص ٥٧ .
٢٨ـ الحكايا والانسان ص ٧١ .
٢٩ـ حكايات وفلسفة ص ٨٨ .
٣٠ـ حكايات وفلسفة ص ٧٢ .
٣١ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٧٢ .
٣٢ـ حكايات وفلسفة ص ١٥٦ .
٣٣ـ م.س ص ١٢٨ .
٣٤ ، ٣٥ ـ الحكاية والانسان ص ٦٠ ، ٧٩ .
٣٦ـ حكايات وفلسفة ص ص ٦٤ .
٣٧ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٤٩ .
٣٨ـ الحكاية والانسان ص ٥٤ .
٣٩ـ حكايات وفلسفة ص ١٢٨ .
٤٠ـ الحكاية والانسان ص ١٦٧ .
٤١ـ الحكاية والانسان ص ٦٠ .

٤٢ـ حكايات الموصل الشعبية ص ١١٨ .
٤٣ ، ٤٤ ـ حكايات وفلسفة ص ٩٩ ، ٨٢ .
٤٥ـ القصص الشعبي في السودان ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤ .
٤٦ ، ٤٧ ـ الحكاية والانسان ص ١٢١ ، ص ١٨٢ .
٤٨ ، ٤٩ ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٥٤ ، ص ١٣٩ .
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ـ حكايات وفلسفة ص ١٢١ ، ١٤٠ ، ١٤٢ .
٥٣ـ الحكاية والانسان ص ١٤٢ .
٥٤ـ حكايات الموصل الشعبية ص ١٠٦ .
٥٥ـ فرن فخاري يستعمل في الدور العراقية لنضج الخبز .
٥٦ـ يعتقد عامة الناس في العراق بامكان تحول الانسان الى حمار او العكس وقبل عشر سنوات شاع في مدينة الموصل ان انسانا تحول الى حمار وقد قبض عليه ووضع في مركز الشرطة فهرع سكان المدينة الى المركز المذكور للفرجة على الانسان الذي تحول حمارا واكد البعض بانهم قد رأوه واصبح الامر يقينا لديهم .
٥٧ـ باب في مدينة الموصل القديمة يقود الى النهر .
٥٨ـ القصعة : اناء كبير من خشب يستعمل في مجن الطحين لاعداده للخبز .
٥٩ـ الكرشة : معدة الخروف او البقرة ويعدها اهل العراق اكلة شعبية تدعى الباجة .
٦٠ـ باجة : اكلة عراقية شعبية تعتمد على رأس الخروف وكوارعه واحشائه .
٦١ـ مجموعتي الخاصة وهي ملحقة بهذه الدراسة .

٦٢ـ روث البقر يعجن وينشف في الشمس وقد كان يستعمل للوقود في العراق قبل ثورة ١٧ تموز المباركة .

٦٣ـ الحكاية والانسان ص ١١٣ .

٦٤ـ الحكاية والانسان ، ص ١١٨ .

٦٥ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٦٧ .

٦٦ـ حكايات الموصل الشعبية ص ١٨٠ .

٦٧ـ حكايات وفلسفة ص ٧٣ .

٦٨ـ حكايات الموصل الشعبية ص ٩٨ .

٦٩ـ حكايات وفلسفة ص ٣٨ .

٧٠ـ قصصنا الشعبي من الرومانسية الى الواقعية ص ١٩١ .

٧١ ، ٧٢ حكايات الموصل الشعبية ص ١٤٢ ، ص ١٢٤ .

٧٣ـ حكايات الموصل الشعبية ص ١٤٥ .

٧٤ـ بلاد الارنووط ، جمهورية البانيا الشعبية الان ، وقد حكم رجالها العراق فقد كانوا ولاة للدولة العثمانية .

٧٥ـ الحكاية والانسان ص ١٢٥ .

٧٦ـ حكايات وفلسفة ص ٥٢ ، ٢٣ .

٧٧ـ حكايات وفلسفة ص ٥٢ ، ٢٣ .

٧٨ـ الحكاية والانسان ص ١٢٣ .

٧٩ـ قصصنا الشعبي ص ٤٩ ـ ٥٠ .

٨٠ـ قصصنا الشعبي ص ١٥١ .

حكايات شعبية موصلية

(١)
آغـات أوف

كان في قديم الزمـان رجل تاجر في مدينـة الموصل ، خرج ذات يوم الى الشام للمتاجـرة ، وسأل بناته عن طلباتهن فذكرت كل واحدة منهن طلبها ، أما الابنة الصغيرة فطلبت فستان لؤلؤ في قمع جوزة ، ذهب التاجر الى بلاد الشام بـاع سلعته واشترى ما ينفعه للمتاجرة ، ولـم ينـس ماطلبت بناته . وفي طريق العودة الـى الموصل ، وقفت القافلة للراحـة فانتحى التاجـر الى ظل شجرة وتذكر طلب ابنته الصغرى وأسف لانه لم يستطع تلبية طلبها فانبعثت من فمه حسرة طويلة وصاح بالم (اوف) . فاذا بعبد عملاق يمثل بين يديـه ويصيح (لبيك لبيك أنا عبـد بين يديك) فاجفل الرجل التاجر وساله عن أمره . فقال له العبد العملاق انك ناديتني فلبيت النداء .

اندهش التاجر من قول العبد العملاق واكد له انه لم ينـاد احدا فقـال له العبد بل ناديتني باسـمي فانا ادعى اوف

ضحك الرجل وقال للعبد انما ناوهت فقط لانني تذكرت طلب ابنتيَ الصغرى العزيزة ولـم استطع تحقيق طلبها

قال له العبد العملاق : ما هو طلبها ؟

اجابه الرجل : بانهـا طلبت فستان لؤلؤ بقمع جوزة . واكد الرجل التاجر استحالة طلبها أو كيف يتسع قشر الجوزة لفستان من اللؤلؤ .

استهان العبد بالطلب ووعده بان يحضره له حالاً .

وفي غمضـة عـين كان الفستان اللؤلـؤي الموضوع في قمع جوزة بين يدي التاجر .

فرح التاجر فرحا عظيما ولكن العبد العملاق طلب اليه ان يجهز ابنته في يوم معين وان يضعها فوق سطح الدار في ساعة معينة ليأتي لاخـذها ويزوجها من اخاته (سيده) .

خاف التاجر على ابنته وبكى بين يدي العبد وتوسل اليه ان يعتقه من هذا الشرط. ولكن العبد اصرّ وهدد التاجر بانه اذا نكث بوعده. فـيحرق

داره ويميت جميع اهلـه . وفي مثـل لمح البصر اختفى العبد العملاق .

اطرق التاجر مفكرا حزينـا طوال الطريق وعندما وصـل الموصـل استقبله أهل بيته بالفرحة والسـعادة ، وزع الهـدايا على بنـاته وقدم لابنتـه الصغـرى الفسـتان اللؤلؤي بعـد ان اخرجه من قمع الجوزة ، فارتدته وبدت آيـة للناظرين . فاشتد حـزن الأب وعظمت لوعته . تبينت زوجته الهمّ والحزن المكللين علـى كاهل زوجها فسألته عن الخطب الذي حل به واخذت تـري عن نفسه ظنا منها بان تجارته قد خسرت ولم يشأ الرجل التاجر ان يعلم زوجته بالامـر خشية عليها من ان تحزن وتتألم . ولكن صدره ضاق بسره فباح لهـا ذات يوم بجلية الامـر . فركبها الحزن وطار قلبها شعاعا من الالم والحسرة على ابنتها التي لا تليق الا بالامراء .

وفي اليوم الموعود جهز الوالدان ابنتهما وفي السـاعة المحددة اصعداها الى سطح الدار كمـا طلب العبد العملاق فاذا بغمامة سـوداء تكلل السماء ، نزلت الغيمة الى السطح ، رفعت الفتاة ووضعتها على ظهرها وطارت بها بعيدا حتى بانت كنقطة في السماء ثم اختفت تماما .

نزلت الغيمة على سطح قصر عظيم فاذا به العبد اوف يستوي امام الفتاة الصغيرة الجميلة . اقتادها اوف الى داخل القصر فابهرها مارات فهو مبني من قطع كبيرة من الماس مطعمة بالياقوت والزمرد ومختلف الاحجار الكريمة . ادخلها الى غرفتها فهالها مارات من الاثاث والنقوش والنفائس واكدّ لها اوف بانه خادمها ورهن امرها وقال لها اذا ما اردت شيئا ناديني واكون لحظتها بين يديك وطوع امرك

انشغلت الفتاة الصغيرة بحياتها الجديدة وسعدت بما وجدت من مظاهر العز والنعمة ، وكان اوف يلبي جميع طلباتها مهما كان الطلب مستحيلا . فقد طلبت اليه ذات مرة ان ياتيها بالقمر فجاءها به اليها وجلس القمر يسامرها حتى حان وقت نومها . واهدتها الشمس تاجا ذهبيا طالما حلمت به . وكانت تزورها بين حين وآخر تسليها وتروي لها الحكايات عن عوالم مجهولة . وكان اوف ياتيها قبيل ان يحين وقت نومها بفنجان من القهوة ، تشربه واذا بها تستسلم لنعاس لذيذ واحلام جميلة .

بدات الفتاة الصغيرة تحسّ بشوق لرؤية اخواتها ووالديها . وظهرت مسحة حزن على

وجهها لم تخف على العبد المطيع اوف . فسالها مرارا عن امرها وعما يزعجها ويحزنها فكانت تعتصم بالصمت اوتنفي انها حزينة او قلقة وتظهر البشر والسعادة امامه . فاجاها اوف ذات يوم بقوله :ـ اذا اشتقت الى اهلك ورغبت بالذهاب لرؤيتهم اخذتك اليهم على شرط ان تكوني جاهزة في ساعة معينة فوق السطح لاعود بك الى هنا .

تهلل وجه الصبية فرحا واعترفت لعبدها اوف بانها مشتاقة فعلا لرؤية اهلها وهذا ما كان يحزنها ويؤلمها .

فسهل اوف لها الامر . وبعد ان جهزت نفسها وحملت معها من الهدايا ماخف حمله وغلى ثمنه لاخواتها ووالديها ارتقت ظهر اوف وطار بها بعيدا في السماء وعبر بها البحار السبعة حتى اوصلها الى مدينة الموصل وانزلها فوق سطح دار اهلها . واكدّ لها ان تجهز نفسها في ساعة معينة ليالي لاخذها وتمنى لها اقامة طيبة بين اهلها ثم اختفى . فوجيء الاهل بنزول ابنتهم من على درج السطح واستبدت بهم الفرحة وغمروها بالقبلات ودموع الفرح واظهروا اعجابهم بجمالها وحسنها الذي ازداد واكتمل بعد ان امتلأ عودها وتكورت مفاتنها وبدت عليها مظاهر المراة الناضجة .

وبعد ان هدأت زوبعة اللقاء راح الجميع يتفحصونها بدقة فباركوا لها ارتفاع بطنها وسألوها عن زوجها وعن موعد الولادة .
فاجابتهم بانها لاتعرف عما يتحدثون فهي لاتعرف لها زوجا ولم تقابل رجلا غير اوف الذي لم يمسسها مطلقا وكان يكتفي بتلبية طلباتها .
وعندما اكثرت الام من طرح اسئلتها اخبرتها ابنتها بانها بعد ان تتناول فنجان القهوة تستلم للنوم ولاتعي بما يدور حولها غير الاحلام اللذيذة التي تراودها اثناء النوم .

همست امها في اذنها :- ضعي قطنا في صدرك تحت الثوب وعندما ياتيك اوف بالقهوة لتشربيها قبل النوم ، غافليه واسكبيها على صدرك فيمتصها القطن . وتظاهري بالنوم ثم انتظري ما يحدث . واعجبت الفتاة الصغيرة الفكرة ووعدت امها بتنفيذها .

وفي الساعة التي حددتها لاوف جهزت نفسها وصعدت الى السطح تنتظر قدومه فاذا بغمامة سوداء تجلل السماء،هبطت الغمامة فوق السطح ، رفعت الفتاة ووضعتها على ظهرها وطارت بها بعيدا حتى اضحت نقطة سوداء في الافق ثم تلاشت تماما .

عاد اوف بالفتاة الى القصر وقضت نهارها تسامر الشمس ، فقد اهدتها سريرا ذهبيا للصغير وملابس للصغير من ماء الذهب وجلست في الماء تسامر القمر ، وقد اهداها غطاء فضيا للسرير وبشرها بغلام وجهه مثل وجهه يشع جمالا ونورا . وحينما حان موعد نومها جاءها اوف بالقهوة ، تظاهرت بشربها امامه ثم غافلته وسفحتها على صدرها فامتصها القطن ، تثاءبت الفتاة الصغيرة وتظاهرت بالنوم . وبعد أن تاكد اوف من نومها خرج من الغرفة ودخلها شاب سبحان من صور فقد استعاد من القمر وجهه ومن الشمس شعرها ، قبلها وداعبها ثم استلقى الى جانبها فوق السرير فادهشتها ان رات في شعره مفتاحا ذهبيا صغيرا . ورات في سرته قفلا صغيرا من الماس .

اشتد بها الفضول لمعرفة السر ولكنها خشيت الرجل المستلقي الى جانبها وانتظرت حتى اخذته سنة النوم ثم ما لبث ان راح في نوم عميق . وما ان تاكدت الفتاة الصغيرة من نوم الرجل الذي عرفت فيه انه زوجها ووالد الجنين الذي يكبر في بطنها حتى عزمت على كشف سره ، حلت عقدة المفتاح الذهبي من شعره ، ادخلته في ثقب القفل الماسي الذي يحكم غلق سرته . ادارت المفتاح فدار . رفعت القفل فانفتحت بطن زوجها ، نظرت في داخلها فاذا

بها امام سوق عامر ادهشها الامر وزاد فضولها . فدلفت في داخل بطن زوجها فاذا بها في بداية السوق نظرت الى دكان خياط يقوم بخياطة ملابس من اللؤلؤ ، دخلت دكانه وسالته : ـ ماذا تفعل يا سيدي . اجابها وهو منهمك في عمله دون ان يلتفت اليها : ـ انني اخيط ملابس لولد (لولو بعراميشو). خرجت من دكان الخياط فواجهتها دكان نجار ، دخلت الدكان فوجدت النجار منهمكا في صنع سرير من الذهب المطعم بالماس ، سالته عما يصنع ، اجابها وهو منهمك في عمله دون ان يلتفت اليها : انني اصنع سريرا لولد (لولو بعراميشو) . خرجت من دكانه فرات خبازا يصنع انواعا من الحلوى لم تر مثلها من قبل . تذوقتها فادهشها طعمها اللذيذ الذي لم تتذوق مثله في حياتها وشاهدت كعكة كبيرة منقوشة باحجار كريمة عدت طبقاتها على اصابعها وبعد ان عدت كفيها مئة مرة تيهت العد ، سالته عن امر الحلوى والكعكة فاجابها وهو منهمك في عمله : انني اصنع الحلوى والكعكة لولد (لولو بعراميشو) . خرجت من دكان الخباز فرات في مواجهتها دكان صائغ ، دخلت الدكان فوجدته منهمكا في عمله رات اساور وحجلا وطوقا ومشبحتين (١) وخواتم وخفا . كلها من ذهب

١ ـ حلية توضع في يد الطفل الصغير .

ومطعمة بالماس سالته : ماذا تفعل ياسيدي اجابها وهو منهمك في عمله انني اصنع حليا لولد (لولو بعراميشو) . خرجت من عنده فرات بناء منهمكا في بناء قصر من الماس مطعم باحجار الكريمة فسالته عن امر هذا القصر فاجابها وهو منهمك في عمله انني ابني قصرا لولد (لولو بعراميشو) . ودخلت دكاكين حداد وحذاء ونساج وفخار وصانع دمى الاطفال ومكوى ومطعم فاخبروها جميعا وهم منهمكون في عملهم بانهم يصنعون كل هذا لولد (لولو بعراميشو) تملكتها دهشة عظيمة وخشيت ان يستيقظ زوجها فاسرعت بالخروج من داخل بطنه وما ان اغلقت البطن ووضعت القفل في مكانه وقفلت بطنه وحاولت ان تربط المفتاح بشعفته حتى استيقظ من نومه فاحتارت الاميرة في امرها واسقط في يدها غضب الزوج غضبا شديدا وزجر زوجته ونادى على اوف نقدم ملبيا . طلب اليه الزوج ان ياخذ زوجته ويذبحها ويجيئه بدمها فصدع اوف بالامر واخذ الفتاة معه وسار بها الى مكان قفر ، صعب الامر على اوف وتذكر وعده لوالدها بالا تمس بضرر فاصطاد ظبية وذبحها وذهب بدمها الى اغاثه ، وترك الفتاة في مكان فيه قصر كبير شبيه بقصر سيده واعلمها بانه قصر اخت اغاثه الكبرى . كبر الجنين في بطن الفتاة واصابها الارهاق من كثرة التجوال وتشقق قدماها وشحب

لونها وعضها الجوع بنابه ولم تجد غير صندوق قمامة القصر ملجأ تقتات منه . ورأتها الخادمة ذات يوم وهي تكردش العظام وتلتهم الفضلات فاشفقت عليها واخبرت سيدتها بأمرها ، وروت لها حالتها باسلوب يثير الاشفاق . فاشفقت الاميرة عليها وطلبت الى خادمتها ان تستدعيها الى الدخول ونبقيها مع الخدم في غرفهم . ارتاحت الفتاة من عنائها ولكن الندم على ما جنته يداها كان يقطع نياط قلبها وكان الحب قد طرق قلبها بعد ان رات زوجها واعجبها حسنه وجماله . وذات يوم جاء اوف الى القصر واخبر الاميرة بان اغاته قادم لزيارتها . فصاحت الاميرة بخدمها ، اكنسوا واشطفوا ديجي اغات اوف . فاسرع الخدم بترتيب القصر وتهيئته لاستقبال (اغات اوف) اخ الاميرة . وذبحت الذبائح وصفت الموائد بما لذ وطاب واندست الفتاة بين الخدم وما ان دخل زوجها حتى بهرها جماله واوشكت ان تقع عليه وتقبل رجليه مستغفرة ولكنها تماسكت . وبعد الاكل والشرب والسمر والغناء . انتحت الاميرة باخيها وسالته عن زوجته فقص عليها القصة بكاملها واخبرها بانه امر اوف بذبحها . فوافقته على موقفه من الامر وصاحت غاضبة : ما قصرت كيف سمحت هذه العاقة لنفسها ان تكشف سرك .

وكانت الفتاة مختبئة للحديث فما ان سمعت رد الاميرة حتى اسرعت هاربة خشية من اكتشاف امرها وعندها تذبح هي واوف الذي احسن اليها . مضت الفتاة سائرة في طريقها ارض تشيلها وارض تحطها حتى وصلت الى مكان جميل فيه قصر كبير شبيه بقصر زوجها واخته فالتجات اليه وكان التعب قد شل قواها والدماء تسيل من قدميها فوجدت باب القصر موصدا ، فنامت على عتبته واتتاتت بما وجدت من فضلات في صندوق القمامة استيقظت الفتاة على صوت الباب يفتح واذا بالخادمة ترمي بالفضلات في صندوق القمامة . فما ان رات الخادمة الفتاة حتى حزنت واشفقت عليها واخبرت سيدتها بالامر فاشفقت عليها الاميرة وطلبت الى خادمتها ادخالها واعطائها غرفة من غرف الخدم . ونظرت اليها وهي تلتهم الطعام الذي قدم اليها التهاما فاحست الاميرة بسعادة لانها انقذت الفتاة وجنينها من موت محقق وكان الجنين قد كبر وبطن الفتاة قد زادت انتفاخا . وما كادت الفتاة تستقر بعد عناء وتعب حتى رات اوف في القصر يخبر سيدته بان اغاته سيأتي لزيارتها فصاحت الاميرة : اكنسوا واشطفوا ديجي اغات اوف . عندئذ علمت الفتاة بان الاميرة هي الاخت الوسطى لزوجها . فذبحت

الذبائح وصفت الموائد بما لـذ وطاب : واختبات الفتاة عندما قدم زوجها وراحت تراقبه من بعيد سالته الاميرة عن زوجته فاخبرها بانها علمت بسره فامر خادمه اوف بذبحها . فوافقته الاميرة فعلته وصاحت غاضبة : ما قصرت كيف سمحت هذه الجاحدة لنفسها ان تكشف سرك . فما ان سمعت الفتاة ردها حتى حزمت امرها وهربت من القصر . وسارت بعيدا في الارض . ارض تشيلها وارض تحطها . ارض تشيلها وارض تحطها . ارض تشيلها وارض تحطها حتى وصلت بقعة جميلة من الارض يتوسطها قصر كبير شبيه بقصر زوجها وقصري اختيه . فاختبات بعيدا عن الباب بعد ان اكلت ماوجدته مرميا في صندوق القمامة . وكردشت العظام المرمية ثم راحت في نوم عميق وقد انهكها السير وسال الدم من قدميها وتورم ساقاها وازدادت آلام بطنها . واخذ الجنين يطرق باب البطن بقدميه وكأنه يستعجل الخروج . سمعت الخادمة انينا ينبعث قريبا من القصر فاسرعت لاستجلاء الامر فوجدت الفتاة في حالة مخاض فاسرعت الى سيدتها تخبرها بالامر فاشفقت السيدة على الفتاة ادخلتها القصر ودعت قابلتها الخاصة تساعد الفتاة على الوضع وبعد مخاض متعسر ولدت الفتاة ابنا شعره كعكولة

من ذهب وكعكولة من فضة وقد ربط في شعفته مفتاح من الذهب وفي سرته قفل من الماس . وجهه كالبدر وشعره كاشعة الشمس وهو شبيه ابيه خلقة للناظرين . فما ان وقع نظر الاميرة عليه حتى عرفت فيه ابن اخيها ورددت سبحان الخالق فمن يراه لا يخطئه ازدادت عناية الاميرة بالفتاة . وبعد ان استعادت عافيتها استدرجتها حتى قصت عليها قصتها كاملة . فحزنت لامر الفتاة وعزمت على اعادتها لزوجها . وعرفت فيها الفتاة انها الاخت الصغرى لزوجها وقدم اوف ذات يوم ليخبر الاميرة بقدوم اغاته لزيارة اخته فصاحت الاميرة بخدمها اكتسوا واشطفوا ديجي اغات اوف . ذبحت الذبائح ومدت الموائد وصف عليها الوان الطعام من كل ما لذ وطاب . وبعد الاكل والشرب جلسوا للسمر فسالته الاميرة عن زوجته . فقال لها لقد كشفت سري فامرت اوف بذبحها .

فاستنكرت الاميرة قوله وانبته على فعله فبان الغم على وجهه واعترف لها بانه احب زوجته كثيرا ولم يحس بالسعادة منذ امر بقتلها وقال لها ولكن فعلتها كبيرة لقد كشفت سري .

فقالت له الاميرة : لا سر بين الزوج وزوجته فالزوج يكشف عن سر زوجته ، والزوجة تكشف

عن سر زوجها . اقتنع الامير بقولها وقال باسف : لقد سبق السيف العذل .

فطلبت منه الاميرة راية الامان فاعطاها اياها فاسرعت الى الفتاة واخرجتها من غرفتهاواخذت ولده بين يديها وقدمته الى اخيها فقبله واحتضنه وفرح به فرحا شديدا . قبلت الفتاة يد زوجها فتبلها في جبينها واجزى العطاء الى اوف وقال له ساعتك ثمنا لامانتك شكرهاوف وقبل يده ويدالاميرة ،يد الفتاة واحتضن الطفل مقبلا له وقال لاغاته اذا ما احتجتني نادني فاكون بين يديك في اية لحظة تريد . وانطلق بعيدا في السماء حتى اصبح نقطة في الافق ثم اختفى تماما . قضى الامير بضعة ايام في دار اخته سعيدا بعودة زوجته وبولده. ثم عزم العودة الى قصره . فاذا اوف بين ايديهم ركبوا على ظهره وطار بهم الى القصر . ثم ودعهم وانصرف(٢) .

٢ ــ روت جميع الحكايات الحاجة وفيقة عبدالله احمد من سكان الوصل محلة المكاوي وعمرهايربو على الثمانين سنة، وقد حولتها الى اللغة الفصيحة بينما روتها باللهجة الوصلية .

هرد وبدي

استيقظت الزوجة مبكرة دفعت عنها الغطاء السميك المصنوع من الصوف والمغلف بقطع متباينة غير منتظمة من قماش رخيص صارخ الالوان . اعادت الغطاء الذي يلفها هي وزوجها واحكمت غطاء الزوج . كان شخيره ينبعث قويا من فمه وما ان يخرج الهواء الحار من فمه حتى يتكاثف عندما يصطدم بهواء الغرفة البارد . فتحت الباب قابلها هواء شديد البرودة كذلك الهواء الذي تشتهر الموصل به في فصل الشتاء . اتجهت الى (المزملة)(١) الحجرية رفعت عن فوهتها المستديرة قطعة من الخشب مشربة بالماء ومتجلدة ، تناولت (المخمرة)(٢) المصنوعة من النحاس محاولة غرف الماء من المزملة انبعثت قشقشة (الزنجيل) الذي

١ ــ مخزن للماء مصنوع من الحجر كان يستعمل لخزن الماء في الموصل قبل انشاء مشروع اسالة المياه .

٢ ــ اناء معدني يستخدم لشرب الماء .

يربط المخمرة بالمزملة ، لم تستطع المراة غرف الماء المتجلد جاءت بيد الهاون الصفراء المصنوعة من (البرنج)[٢] كسرت بها القشرة الثلجية بعدة ضربات من يد الهاون . فتحت فجوة ما لبثت ان وسعتها. انزلت المخمرة في الفجوة ، ملاتها بالماء تبعثرت قطرات الماء من المخمرة فوق القطع المخضرة بشكل مخاطي فوق المزملة الحجرية غسلت وجهها فانكمشت جلدته عند ملامسته الماء البارد . وازرقت جوانب منه اعادت المخمرة الى مكانها من المزملةوعلقتها بقطعة حديدية بجانبالمزملة الحجرية جففت وجهها بذيل ثوبها الاحمر الطويل بيد واحدة، نزلت درجتين فوصلت الى (الدبكة)[٤] وهي قاعة صغيرة مربعة بمساحة الغرفة التي فوقها . فتحت (تنكة) تاكلها الزنجار بعثرت الاكياس الصغيرة الموضوعة في داخل التنكة حتى عثرت على صرة الكركم . ولجت وجهها به فبات شديد الاصفرار بعد ان التصق بوجهها بمساعدة قطرات الماء المتبقية فوقه . غطت التنكة واسرعت خارجة من الدبكة صعدت درجتين مصنوعتين من الجص فتحت باب الغرفة ودلفت في الفراش الى جانب زوجها . وشرعت تبعث انينا موجعا استيقظ الزوج على

٢ ـ البرنز .

٤ ـ غرفة ينزل اليها بضع درجات .

صوت الانين ، نظر الى وجهها المصفر الشاحب ، انتابه قلق شديد وسالها .

ـ ما بك ؟

ـ انني اموت .

ـ ساخذك الان الى الملا (ليعزم) لك فتشفين

ـ لا يفيدني شيء غير رمان هرد وبدي

ـ رمان هرد وبدي؟ طريقها طريق الصد مارد

ـ اذا كنت تحبني كما تقول ، جئني برمان هرد وبدي فقد اخبرني الشيخ بان شفائي لا يتم الا به . عزم الزوج امره وقرر الذهاب الى هرد وبدي لياتي برمانها الى زوجته التي يحبها كثيرا . فقد دفع مهرها بكل ما يملك من ليرات وقروش جمعها بجهد كبير واعمال شاقة .

وما ان خرج زوجها بعد ان ركب حماره الحساوي الابيض (دميلان) ووضع في (الهكبة)[٥] خبز رقاق و (رشته) وسويق وتمر لتعينه في سفره ، واخذ (زمزمية) من قماش مشمع وضع فيها ماء من المزملة . حتى اسرعت الزوجة من فراشها فرتبته ووضعت فوقه شرشفا نظيفا ابيض.

٥ ـ الخرج .

واسرعت الى الزملة فغسلت وجهها من الكركم ومشطت شعرها بمشط خشبي مسنن من الجانبين وكدلت شعرها بكدلتين طويلتين وشدت راسها (ببازمة) بيضاء عقدتها من الامام . ولبست ثوبا ورديا طويلا وجلست الى مرآة مكسورة معلقة على الحائط بمسمار صدىء واخرجت من كيس من القماش الابيض المتسخ قطعة (الديرم) وهي من قشرة الجوز الاخضر بللتها بلعابها ووضعتها بين شفتيها وزمتهما بقوة . وبعد ان تاكدت من ثباتها اخرجت مكحلتها ومسحت عينيها بالميل الاسود الذي التصقت فوقه ذرات الكحل الصغيرة وصنعت لها (زنابيتين)[٦] طويلتين على طرفي عينيها بين زاويتي العين وجهتي الاذنين ثم راحت تقرص وجنتيها وتضربهما فتوردتا . اخرجت ورقة مصبوغة بالاحمر بللتها بلعابها وراحت تدعك بها وجنتيها فاحمرتا بحمرة فاقعة ؛ اسرعت الى (الكلبدان)[٧] الزجاجي الابيض المورد من الجانبين . رفعت عن فوهته قطعة زجاج وراحت ترش على شعرها وثوبها ماء الورد . نظرت الى الشمس فقدرت الوقت : همست بفرحة : سياتي عندما تغيب الشمس من الحوش حيث يعود العمال من

٦ ــ الكحل الممتد من زاوية العين الى قرب الاذن .

٧ ــ زجاجة يوضع فيها ماء الورد .

الحقول ساعة الغداء ويبقى حبيبي للحراسة . كان الزوج قد ابتعد عن الموصل من طريق (باب سنجار) راى امراة تحطب فسالها الرجل عن الطريق الذي يسلكه الى هرد وبدي .

تعجبت المراة من ذهابه الى هردوبدي وقالت له : ــ لماذا تذهب الى هردوبدي الا تعلم انه طريق الصدمارد .

اجابها حزينا ــ زوجتي مريضة وقد وصف لها الشيخ رمان هردوبدي وانها لا تشفى الا به .

قالت المراة ــ لو كانت زوجتك تحبك ما ارسلتك الى هردوبدي وهي تعرف بان الذي يذهب الى هناك لا يعود . انها تريد موتك .

ــ حرمتي تحبني وانا احبها

ــ حرمتك (مكارة) لابد انها تدبر امرا . انصحك بالرجوع الى بيتك ولا تذهب الى هردوبدي نعب الشيطان في (عبه)[٨] واحتار في الامر ؛ وتردد بين العودة والذهاب فقد شك في امر زوجته ولكنه في نفس الوقت لم يشا ان ينكث بوعده على عادة رجال اهل الموصل في ذلك الزمان . قال للمراة بتردد : ولكن كيف ؟ لقد وعدتها بالذهاب .

٨ ــ جيبه .

قالت المراة : الفك بحزمة الحطب هذه واخذك الى الدار لتراقب ما يحدث فاذا كانت زوجتك مريضة حقيقة فاذهب الى هردوبدي وائتها بالرمان واذا كانت تمكر عليك فلا تذهب .

وافق الرجل على قولها . لفته بحزمة الحطب وحملته على ظهرها حتى وصلت الدار . طرقت الباب . فصرخت بها الزوجة وهي في اكمل زينتها : — ماذا تريدين ؟!

فقالت المراة : لقد ارسل اليك زوجك حزمة الحطب هذه .

صرخت بها الزوجة : ضعيها بجانب (التنور).

وضعت المراة حزمة الحطب الى جانب التنور وهي تراقب الزوجة التي لم ترفع نظرها عن الباب عندما دخل عبد اسود البشرة وهو يردد :

خليت كبمي ينطر عنبي
جيت عليك يا محبوبتي

اخذته الزوجة بين احضانها وقالت :

بعشت زوجي على هردوبدي
يجيب لي رمان ريته لا يجي

قالت المراة :

اسمع الكول يا جوا الشجرة
يا حزمة الشوك تفتلي وارقصي

دفع الزوج الحطب عنه وقطع الحزمة فتبعثرت . اندفع بسكينه نحو العبد الذي ما زال يقبل حبيبته ، غمس الخنجر في قلبه وسحبه منه وهو يقطر دما وطعن به زوجته عدة طعنات فسقطا ميتين على الارض . شكر المراة وعرض عليها الزواج بعد ان عرف بانها ارمل فقد مات زوجها بمرض الطاعون وترك لها عشرة اولاد تعيلهم . وافقت على الزواج منه وهكذا عوضه الله بامراة صالحة بدلا من زوجته الخائنة وبعشرة اولاد بعد ان كان يتحسر على الولد فقد كانت زوجته التي قتلها عاقرا .

انا زكيـــة

سمع آذان المغرب ينتشر في منارة الجامع الكبير (الحدباء) على الحي برمته تنادت اصوات المؤذنين لتملأ بالاصوات العذبة مدينة الموصل برمتها . قال الرجل لزوجته : حضري العشاء ساذهب الى المسجد لاصلي المغرب

قالت الزوجة : سنغلي كبب[1] البرغل بعد ان تخلص الصلاة .

تلمض الرجل وهو يخرج لاداء فريضة المغرب في المسجد القريب ، نادت الزوجة ابنتها الصغيرة

ـــ زكية اسرعي باخذ هذه الكبب الثلاثة الى اختك مكية

وكانت المراة قد وضعت ثلاث كبب كبيرة تدل على عدالة صانعتها ولفتها بخبز على شكل اقراص،

١ ـ مفردها كبة وهي نوع من الطعام اختصت به مدينة الموصل .

وكان الخبز ما زال حارا ، ولفت الكبب والخبز بقطعة قماش ونادت زكية مرة اخرى تدعوها الى الاسراع لاخذ رزمة الطعام الى مكية قبل حلول الظلام .

بدا القلق على وجه الطفلة زكية وبان الخوف في محياها قالت لامها بوجل : اخاف الذهاب يا امي عنفتها الام وقالت : تخافين يا عيبة العيبة . اصبحت عروسة وتخافين ، اسرعي قبل ان تحل العتمة خرجت زكية حاملة رزمة الطعام بعد ان لبست عباءتها الصغيرة ، اسرعت الخطى في الزقاق الضيق الموحل ، قطعت زقاقا ثم آخر ووقفت عند قنطرة على شكل زاوية شديدة العتمة ، فوقها شيد دار كان في يوم ما لاغا من الاغوات الكبار .

رددت الفتاة مع نفسها اخاف من (قنطرة الجان) تذكرت ما يحكي الرجال والنساء عن الجان الذين راوهم يتحركون داخل هذه القنطرة فقد اتخذوها مسكنا لهم . لقد دخلها يوما والدها في الليل ليثبت شجاعته لاصدقائه . قال والد زكية : دخلت قنطرة الجان بعد منتصف الليل ودققت سكة في وسط القنطرة والجان تتنافر من حولي ، قمت ادافعهم وما ان وصلت باب القنطرة حتى وجدت حائطا مسدودا امامي وقد ركب الجان بعضهم

فوق البعض الاخر ونظروا الي بعيونهم الطولية الشبيهة بعيون القطط والنار يقدح منها . قالت لي جنية منهم وكانت شديدة الجمال : الا تتزوجني ايها الانسي لقد احببتك سآخذك الى مملكة ابي فانا ابنة ملك الجان الاحمر . ومملكة ابي كل احجارها من الياقوت الاحمر ، وعندما اجبتها باني متزوج ولي اولاد ، امرتهم بفتح الباب ، زحفوا تجاهي والجنية الجميلة تقول : سآخطفك اذا وانزلك الى مملكة ابي فانا اريدك زوجا .

قرات سورة الكرسي فاذا بالنار تحرقهم من كل جانب ارتفع الحائط جانبا وصرخت كان اصدقائي يتلصصون علي وقد بان الحزن في وجوههم لانهم ظنوا بان الجان قتلوني .

اسرعت زكية الخطى وهي تتذكر حديث ابيها عن قنطرة الجان . جال في خاطرها ما سمعته من امها كيف خطف الجان الازرق اختها الجميلة الصغيرة وتزوجها ونقلها الى مملكته في سابع طبقات الارض . لقد مرت الصغيرة في الظهيرة مع والدها من قنطرة الجان وكان قد ذهب بها ابي الى الشيخ ليرقيها من التهاب اللوزتين وفجاة انغلقت عليهما القنطرة وسادها الظلام الدامس . سمع بكاء ابنته الصغيرة وراح يجول في القنطرة متحسسا بيده الظلام ولكن صوتها ما لبث ان اختفى تماما وارتفع

الحائطان اللذان سدا القنطرة وغمرتها اشعة الشمس بحث عن ابنته في كل مكان فلم يجدها ، بكوا عليها واقاموا لها العزاء . وبعد خمس سنوات وبينما هم جلوس في حوش الدار ، فاذا بالابنة المختفية تصعد درج السرداب ومعها ثلاثة اولاد سبحان من خلق جمالا وحسنا وبعد عناء وبكاء واشواق وترحاب . قصت لهم قصتها وكيف تزوجها ملك الجان الازرق وحدثتهم عن قصرها المصنوع من الزمرد والذهب وعن السعادة الغامرة التي تعيش في كنفها وقدمت لهم هدايا لا ياتي بمثلها تجار حلب الذين عليهم العمدة .

كان الخوف يسرع بخطى زكية وصلت دار اختها مكية قرعت الباب خرجت عليها اختها واخذت رزمة الطعام منها ولم تدعها للدخول وعندما حاولت ان تدخل قالت لها مكية اسرعي بالرجوع قبل ان تظلم الدنيا .

فقالت زكية بخوف ولكنني اخاف أن اعود ، دعيني انم عندك الليلة واذهب في الصباح قالت مكية مستنكرة : لا امي تنتظرك ويبقى فكرها طرفك .

قالت زكية باكية : لن اذهب فانا خائفة .

قالت مكية بغضب : لا استطيع ان ادعك

تنامي عندي فنحن لا نملك الا غرفة واحدة ننام فيها انا وزوجي فاذا ما نمت معنا سيغضب ذلك زوجي وربما يطلقني .

دفعت مكية اختها خارجا واوصدت الباب خلفها مكثت زكية باكية قرب الباب متوسلة باختها ان تدعها تنام عندها هذه الليلة ولكن ما من مستمع ولا من مجيب . وبعد ان يئست المسكينة سارت بخطى بطيئة متخاذلة اول الامر .. وهي تبتعد عن الدار ثم ما لبثت ان اسرعت في مشيتها . وقد بدا الظلام ينسج خيوطه على الازقة الضيقة والبيوت الرابضة على طرفي الزقاق كانها كلاب خائفة. احتارت زكية في امرها وبدات الريح تعصف بقوة فتجمد اطرافها والمطر يهطل بغزارة والصمت مطبق ، وكان الزقاق مقبرة والدور قبور ، تبللت عباءة زكية الصغيرة رات قبة مهدمة فالتجات اليها من المطر . انتظرت قليلا فاضاعت الطريق واختلط عليها الامر فراحت تبكي وتنشج .

فاذا بصوت قوي مفزع يصيح بها : من واقف على قبة السليل ؟ أجابت زكية بصوت خائف باكي : ـ انا زكية اختي مكية سحتتني في ظلام الليل .

قال لها الصوت القوي المفزع لا تخافي مني خافي من ابو قرنين .

تملك زكية الفزع فركضت بعيدة عن القبة المهدمة ، سارت وسط العاصفة وقد ضلت طريقها فرات قبة قريبة التجات اليها وهي ترتجف من الخوف والبرد وقد علا نحيبها . فما ان استقرت في مكانها حتى سمعت صوتا اشد ازعاجا من الصوت الاول يصيح بها : من واقف على قبة السليل ؟ اجابته بخوف باك : انا زكية اختي مكية سحتتني في ظلام الليل .

قال لها بصوت رهيب : لا تخافي مني خافي من (ابو ثلاثة قرون) .

ازداد الرعب بزكية ، هربت من ملجئها وهي بين طرفي المقص ، العاصفة الماطرة والاصوات المزعجة. رات قبة من بعيد فظنته مسجدا . اسرعت راكضة فاذا بها امام قبة مهدمة . وكان جسمها يرتجف مثل سعفة في مهب الريح ، التجات الى القبة تحتمي من المطر فما ان استقرت حتى سمعت صوتا اشد ازعاجا من الصوتين السابقين يصيح بغضب : من واقف على قبة السليل ؟

اجابت زكية وهي في اقصى حالات الرعب: انا زكية اختي مكية سحتتني في ظلام الليل .

قال الصوت المرعب : لا تخافين مني خافيمن (ابو اربعة قرون) ولكن الفزع دفع بها بعيدا

عن مكانها فالتجأت الى قبة رابعة فحدث لها ما حدث في السابق وقال لها : خافي من (ابو خمسة قرون) وقبة خامسة فقال لها الصوت : خافي من (ابو ستة قرون) وسابعة وثامنة وتاسعة فقال لها الصوت المرعب : لا تخافي مني خافي من (ابو عشرة قرون) .

لم تستطع زكية السير خانتها ساقاها اغشي عليها من شدة الرعب وطافت عباءتها في سيل المطر وتبللت ملابسها تماما. افاقت على نقرات ذرات المطر على وجهها ، سحلت نفسها حتى تمالكت وعيها فاخذت تصيح وتولول ولم تدر انها اصبحت بعيدة عن المدينة . رات قبة قريبة منها حسبتها مسجدا فاسرعت اليها وهي تنشج فسمعت صوتا كانه الرعد القاصف : من واقف على قبة السليل ؟ فاجابت بصوت مخنوق من الرعب والبكاء : انا زكية اختي مكية سجنتني من ظلام الليل فاذا بوحش هائل يهجم عليها ، عيناه طوليتان مثل عيون البردة ووجهه اسود مزرق كثيف الشعر وشفتاه حمراوان كانهما جمرتان وانيابه تقطر دما وشعره

تتلوى فيه الافاعي وقد فتحت افواهها وبانت انيابها الزرقاء السامة واذناه كاذني الفيل فيها ترط من العقارب . رفعها الوحش بين يديه غرس مخلبه الطويل في عنقها وراح يمتص دمها بنهم بدت الزرقة في وجهه تخف تدريجيا وتنقلب الى حمرة قانية لم يمض وقت طويل حتى شرب دمها كله ثم بدأ يلتهمها بنهم .

جنجل وجناجل

كانت الغزالة تسكن هي وولديها التوامين جنجل وجناجل في كوخ عند غابة كثيرة العشب والماء والشجر وكانت الغزالة تخاف على ولدها جنجل وعلى ابنتها جناجل خوفا عظيما فلا تدعهم يخرجون من بيتهم أبدا . تخرج في الصباح تبحث لهما عن العشب الطيب والماء النمير وتاتيهما به . وقد اوصتهما امهما الغزالة بعدم فتح باب البيت لاحد مهما كان فقد كانت تخشى عليهما من (الدامية)(١) التي كانت تطوف في الغابة تسعى الى اكل الضعفاء الذين لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم فاذا ما قدمت الغزالة طرقت الباب وهي تردد : ــ جنجل وجناجل افتحوا لامكم الباب بقرونها الحشيش (بديوسها)(٢) الحليب وبفمها الميــة .

١ ــ الدامية : السعلوة .
٢ ــ الدالوها .

فيدير جنجل المفتاح حتى يسمع صوت طقته وتديره جناجل مرة أخرى حتى يسمع صوت طقته ثم يفتحان لامهما الباب . فقد علمتهما امهما الغزالة ان يديرا المفتاح مرتين عند غلقهما باب البيت .

كانت الغزالة تعيش بسعادة مع ولديها تسمر معهم في الليل وينامون مبكرين وينهضون مبكرين تملاهم السعادة ويفمرهم الحبور .

خرجت الغزالة ذات صباح بعد ان ودعت ولديها جنجل وجناجل واوصتهما بان يغلقا الباب جيدا يديرا المفتاح في القفل مرتين وبعد ان اطمانت عليهما راحت تقفز بمرح وتسعى في البراري وفي الغابة لتاتيهما بما لذ وطاب من العشب وما عذب من ماء .

تاكدت الدامية من ذهاب الغزالة طرقت باب البيت وقالت بصوت اجش : جنجل وجناجل افتحوا لامكم الباب بقرونها الحشيش وبديوسها الحليب وبفمها المية . عرف جنجل وجناجل من صوتها فقالا لها : انت لست امنا انت الدامية لن نفتح لك الباب . دفعت الدامية الباب بجسمها الثقيل فلم ينكسر . فكرت في الامر انبسطت اساريرها واسرعت الى مغارتها وشربت (تنكة) من

الحلو لكي يعذب صوتها . وعادت الى بيت الغزالة. طرقت الباب وقالت بصوت دقيق : جنجل وجناجل افتحوا لامكم الباب بقرونها الحشيش وبديوسها الحليب وبفمها المية .

تردد جنجل في فتح الباب ولكن جناجل اسرعت لفتحه . فقال لها جنجل : جناجل لا تفتحي الباب هذا الصوت ليس صوت امنا انه يشبه صوت الدامية .

ضحكت جناجل وقالت لجنجل : اخافتك الدامية ان صوت امنا تحسبه صوت الدامية . ادارت المفتاح في القفل دورة وطلبت من جنجل ان يديره كرة أخرى فتردد ولكن ضحك جناجل من خرفه مما دفعه الى الاقدام على فتح الباب . فاندفعت الدامية الى الداخل وبلعت جنجل ثم بلعت جناجل .

كان الغراب يراقب ما حدث وهو واقف على غصن شجرة قرب بيت الغزالة فطار باحثا عن الغزالة حتى وجدها ونقل لها خبر اكل الدامية لولديها جنجل وجناجل . فاسرعت الغزالة غاضبة الى الدامية قبل ذهابها وكانت في عدوها اسرع من الغراب في طيرانه فقد استبد بها الغضب بحيث انساها نفسها . فذهبت الى الحداد ليحد لها

قرنيها ، امتلأت بطن الدامية بعد بلعها لجنجل وجناجل فثقلت مشيتها ولم تستطع ان تبتعد كثيرا عندما وصلت الغزالة اليها . بادرتها الغزالة قائلة : ـ لقد بلعت ولدي جنجل وجناجل ولم ترحمي صغرهما ولوعتي فتعالي نتناطح فاذا نطحتني كليني كما بلعت ولدي واذا نطحتك اشق بطنك واخرج ولدي جنجل وجناجل .

ازداد نهم الدامية ووجدت في الغزالة وجبة لذيذة . تلمضت وسال لعابها ووافقت على عرض الغزالة وكلها يقين بانها ستغلب الغزالة وراحت تتغوط لكي تزحلق الغزالة بغائطها .

بدا النطاح بين الدامية والغزالة عنيفا فقد كانت الغزالة تقاتل بكل ما في نفسها من غضب وحقد على الدامية وكانت الدامية تقاتل بكل ما في نفسها من جشع ونهم .

قلبت الدامية الغزالة فتحت فمها واسرعت لالتهامها .

فقالت لها الغزالة : لم يكن القتال نزيها فقد تعمدت التغوط حتى انزحلق بغائطك وهذا مخالف للعبة .

اعترضت الدامية . ولكن الغزالة اصرت على موقفها . فتحاكمتا الى الغراب . فشهد الغراب بان الدامية خرجت على قواعد اللعبة بان ملأت

مكان القتال بالغائط لتكبح الغزالة حتى تغلبها وطلب اليهما ان يعيدا الجولة مرة ثانية .

فما ان بدا القتال حتى جمعت الغزالة كل ما اوتيت من كره وحقد على الدامية وبكل رغبتها في اعادة ولديها الى الحياة . فنطحت الغزالة الدامية بقوة في بطنها فوقعت الدامية على ظهرها . اعادت الغزالة الكرة ثانية وثالثة حتى انشقت بطن الدامية . فخرج جنجل يقفز برشاقة وتبعته جناجل وماتت الدامية .

حفنت الغزالة ولديها وتبادلوا القبل واخذتهم الى البيت وهي تردد

انا غزالة غزيلة وكروني حديد

كلمن ياخذ اولادي الكينه بالبرية

ثم ذهبت الى الصائغ فصاغ لها خاتما من الذهب وضعته في اصبعها واوصت ولديها جنجل وجناجل بعدم فتح الباب لاحد الا بعد ان يروا الخاتم . تدخل اصبعها من ثقب القفل وهكذا خلصت الغزالة ولديها من الدامية .

وحكاية الكنا عندكم وجينا . لو كان بيتنا قريب كان جبتو لكم حفنتين زبيب حفنة لي وحفنة لمن حكت الحكاية .

ست الستوت

يحكى ان زوجة الاب ضاقت ذرعا بولدي زوجها فطلبت الى زوجها الضعيف المستكين لها ان يضيعهما . فاستجاب الزوج لارادة زوجته العاتية . وطلب اليها ان تعد لهما خبزا وتمرا وماء ليوهمهما بانه سياخذهما الى النزهة . فاعدت زوجة الاب ماطلبه منها زوجها ووضعته في الهكبة (الحقيبة) امام ناظريه . وعندما نام الجميع تسللت الزوجة الى حوش (باحة) الدار وابدلت الخبز والتمر بالبعر والجلة[1] ووضعت بدل الماء بولا .

وفي الصباح الباكر ومع صياح الديكة اصطحب الاب ولديه وودع زوجته وسار بهما عبر الحقول والفيافي بعيدا جدا عن المدينة وكلما سالاه الى اين يذهب بهما اجابهما بانه سيذهب بهما الى مكان

١ ــ الجلة : غائط البقر والجاموس كان يبس ويستخدم في الوقود .

جميل جدا . وحينما ارهقهما التعب واصابهما الاعياء اجلسهما في مكان معشوشب فراحا في سبات عميق . وعندما تاكد الاب من نومهما تسلل بعيدا بعد ان ترك لهما حقيبة الطعام والماء .

وفي الصباح افاق الصبيان فدهشا من وحدتهما في ذلك المكان وذهبا يسعيان باحثين عن والدهما . فلم يجدا له اثر . تملكهما الخوف واجهش الصغير بالبكاء ولكن اخته هدات نفسه وطيبت خاطره . وحينما عضهما الجوع بنابه فتحا الهكبة ليأكلا فلم يجدا غير البعر والجلة وعندما شربا ما في الابريق مجا ما في فميهما . وتولاهما الاسى . ولكن الصبية الجميلة لم تياس وسارت باخيها الصغير تبحث عن الطعام والماء .

وبعد مسيرة طويلة وعناء عظيم وجدا عين ماء وعندما حاولا الشرب قالت لهم العين : من يشرب من مائي يتحول الى غزال .

فامتنعت الصبية عن الشرب ، اما اخوها الصغير فلم يرعو وكان العطش قد تملكه . فشرب من الماء وسرعان ما تحول الى غزال . ذعرت الصبية الجميلة وبكت كثيرا لما حل باخيها وراح (غزيل) يقفز هنا وهناك حول اخته السائرة الباحثة عن سبيل للخلاص . وبعد اسابيع طويلة من السير

والعناء والاقتيات على الفواكه والاعشاب البرية. رات ست الستوت عن بعد قصرا منيعا فتوجهت صوبه واخوها غزيل يقفز حولها حتى وصلت القصر فاستظلت به وراحت تقتات على ما يرميه الخدم من فضلات الاطعمة .

مضت الايام بطيئة على ست الستوت واخيها غزيل، وراحت تسلي نفسها بالعناية بشجرة صغيرة غرستها ، تسقيها وترعاها ، والشجرة تكبر وتكبر وتجلس ست الستوت الى شجرتها تناجيها قائلة :

— شجيرتي . شجيرتي من اطعمك ؟

فتجيب الشجرة : اكف يديك .

فتقول ست الستوت : من سقاك ؟

فتجيب الشجرة : — دموع عينيك .

فتقول لها ست الستوت : اكفي قليلا لاتفرج عليك .

فتنكث الشجرة لؤلؤا .

وذات يوم رآها الامير سيد القصر فاعجب من مناجاتها للشجرة . ومن اللؤلؤ الذي ملأ كفيها. وبهره جمالها فقرر الزواج بها .

اقام الامير الافراح في القصر والصبية سعيدة جدا وحولها اخوها غزيل يقفز جذلا سعيدا .

مرت الايام والامير يزداد حبا لزوجته الجديدة وغزالها الجميل والقصر تلفه السعادة الغامرة . وزوجة الامير القديمة تزداد حنقا وغيظا وخاصة بعد ان حملت ست الستوت من زوجها الامير . وكانت زوجته السابقة عاترا . فازدادت عناية الامير بزوجته الحامل . وذات يوم استوجب سفر الامير الى بلد آخر فاوصى من في القصر بزوجته الجديدة خيرا وذهب ، فما كان من امر زوجته الاولى الا ان تامر الخدم برمي ضرتها في البئر فصدعوا بامرها صاغرين وهددتهم اذا اخبروا سيدهم بالامر بالويل والثبور . وحاولت ان تقبض على غزيل لتذبحه ولكنه فر بعيدا في البراري . فاذا ما اتى غفلة من الزوجة الحقودة قدم الى البئر يناجي اخته ويرمي لها بالطعام الذي يرقه من المطبخ . وظنت الزوجة الماكرة أن الشجرة ستستجيب لها كما تستجيب لست الستوت فتنكث عليها لؤلؤا . فكانت تجلس اليها مقلدة ست الستوت قائلة للشجرة .

ـ شجيرتي . شجيرتي من اطعمك ؟

فتجيب الشجرة :ـ عابت ايديك .

ـ من سقاك ؟

فتجيب الشجرة : عمت عينيك .

ـ اتكئي لاتفرج عليك .

فتنكث الشجرة عليها رمادا .

آنست الزوجة الماكرة عودة زوجها فطلت وجهها بالكركم ووضعت تحت فراشها (خبز الرقاق) لتوهم زوجها بانها مريضة .

عاد الزوج فوجد ان كل شيء في الدار قد تغير . زوجته القديمة مريضة . ووصف لها الاطباء قلب غزال لتشفى.وزوجته الجديدة نعيت له . وقد اخبرته زوجته القديمة بان السبب في مرضها . حزنها الشديد لموت ضرتها .

احس الامير بالوحشة وكان يشعر بالاسى لشحوب زوجته والطقطقة التي تنبعث من عظامها كلما تقلبت على سرير المرض . وزاد اشفاقه عليها لما يتقنه من كلامها بان مرضها نتج عن حزنها الشديد لموت ضرتها . ولكنه اشفق على غزيل من الذبح فقد بقي سلوته الوحيدة التي تذكره بزوجته الحبيبة . ولكن الامور ازدادت سوءا بزوجته القديمة فقد اشتد شحوبها واصبحت عظامها تبعث طقطقة عالية كلما تقلبت على فراش المرض ولم يكن هناك مناص من ذبح غزيل ففي قلبه الدواء الناجع والشفاء العاجل لزوجته .

علم غزيل بما يبيته زوج اخته وزوجته القديمة له .

فكان يقف الى البئر مادا عنقه الى فوهته مرددا بحزن شديد .

ـ ست الستوت وعنبر المستوت كلميني كليمة قبل ان اقع واموت . فترد عليه اخته ست الستوت من داخل البئر .

ـ سكينته خشب وقدره انقلب والدي يذبح غزيل يعمى وياتيه الكلب . ويبكيان معا .

فاذا ما قبض القصاب على غزيل ليذبحه . انقلبت سكينه الى قطعة من الخشب واصبح كالمسعور يفر هاربا فينجو غزيل من الذبح .

تكررت الحالة عدة مرات فاستغرب الزوج الامر ، وازدادعجبهعندما لاحظغزيليقفعند البئر باكيا. فازدادت دهشته . وكلما حاول ان يستجلي الامر من زوجته القديمة تكثر من واولتها وتتناثر دموعها ويشتد عليها المرض كما لاحظ ان الشجرة توقفت عن نثر اللؤلؤ عندما تحدثها زوجته القديمة اذا ما آنت غفلة منه . بل لاحظ انها تنثر فوقها الرماد بدلا من اللؤلؤ . وكان ان حان وقت وضع ست الستوت فوضعت طفلا جميلا يشبه والده

الامير سبحان من صور ، خصلات شعره من الذهب والفضة خصلة من الذهب وآخرى من الفضة . وكانت تغني له وهي في مكانها في البئر .

ابن السلطان لحجري والشعر قد جللني ومالي اليك وصول .

وذات ليلة قمراء كان كل شيء هادئا . انبعث صوت ست الستوت مهدهدة لطفها وقد كان الامير يعاني من ارق شديد وقد ذهب به الحزن كل مذهب لفقدان زوجته الحبيبة . فخرج الى الحديقة . فسمع هدهدتها وادهشه وقوف غزيل قرب البئر باكيا متالما لما آل اليه امر اخته ست الستوت فانصت للحديث والهدهدة فشك في الامر . وصاح بخدم القصر ان يستفيقوا ويشعلوا المشاعل وانزل بعضهم الى داخل البئر . فاخرجوا له زوجته الحبيبة ست الستوت وبين احضانها طفلها الجميل . واسقط في يد الضرة الماكرة وعلم بفعلتها الشنعاء ، فغسل وجهها وجسدها من الكركم واخرج خبز الرقاق من تحت فراشها وامر بقتلها ورميها في داخل البئر . رقص غزيل جذلا وتناثر اللؤلؤ من الشجرة السعيدة ولف الامير وست الستوت سعادة غامرة وهما يحتضنان ولدهما الحبيب الامير الصغير .

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية ، د . فيصل السامر .
٢ ـ فلسفة الفيزياء ، د . محمد عبداللطيف مطلب .
٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي عزيز السيد جاسم .
٤ ـ قضايا المسرح المعاصر ، سامي خشبة .
٥ ـ الصناعات البتروكيماوية ومستقبل النفط العربي . محمد الزهر السماك .
٦ ـ الثورة والديمقراطية ، صباح سلمان .
٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية ، عبدالمطلب صالح .
٨ ـ الطب عند العرب ، د . عبداللطيف البدري .
٩ ـ انغولا .. الثورة وابعادها الافريقية ، حلمي شعراوي .
١٠ـ معالجات تخطيطية لظاهرة التحول الحضري ، د . حيدر كمونة .
١١ـ مصادر الطاقة ، د . سلمان رشيد سلمان .
١٢ـ التراث كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي الحديث ، طراد الكبيسي .
١٣ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية ، د . نوري جعفر .
١٤ـ الثقافة والتنظيمات الشعبية ، عبدالغني عبدالغفور .
١٥ـ العوامل المحفزة لنمو المدخل القومي ، د . كاظم حبيب .
١٦ـ فن كتابة الاقصوصة ترجمة : كاظم سعدالدين .
١٧ـ الاعلام والاعلام المضاد ، صاحب حسين .

١٨ـ استثمار المواد الكيمياوية والعضوية الملوثة للبيئة ، طارق شكر محمود .
١٩ـ مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية ، د . هاشم الطعان .
٢٠ـ الانسان اخر المعلومات العلمية عنه ، ترجمة : كامران قره داغي .
٢١ـ الشعر في المدارس ترجمة : ياسين طه حافظ .
٢٢ـ من عصر البخار الى عصر الليزر ، د . اسامة نعمان .
٢٣ـ الاتصال والتغير الثقافي ، هادي نعمان الهيتي .
٢٤ـ المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب ، د . جعفر آل ياسين .
٢٥ـ الصهيونية ليست حركة قومية ، بديعة امين .
٢٦ـ الدفاع المدني الشعبي ، صالح مهدي عماش .
٢٧ـ النسبية من نيوتن الى انشتاين ، د . طالب ناهي الخفاجي
٢٨ـ فن التمثيل عند العرب ، د . محمد حسين الاعرجي .
٢٩ـ الموسيقى الالكترونية ، د . علي الشوك .
٣٠ـ دراسة في التخطيط الاقتصادي ، د . يحيى فني النجار
٣١ـ الرواية العربية والحضارة الاوربية ، شجاع مسلم العاني.
٣٢ـ نقد الفكر البرجوازي المعاصر ، ترجمة : يوسف عبدالمسيح ثروة .
٣٣ـ الطاقة وافاقها المستقبلية ، د . عادل كمال جميل .
٣٤ـ فن الترجمة ، ترجمة د . حياة شرارة .
٣٥ـ صورة الكون ، د . محمد عبداللطيف مطلب .

٣٦ـ مدارس النقد الادبي الفرنسي المعاصر . نهاد التكرلي .
٣٧ـ النهضة ، د . كمال مظهر احمد .
٣٨ـ الحرب النفسية ، د . فخري الدباغ .
٣٩ـ الانسان والبيئة ، ترجمة عصام عبداللطيف احمد .
٤٠ـ في علم التراث الشعبي ، لطفي الخوري .
٤١ـ مساهمة العرب في علوم الحياة ، عادل محمد حسن الشيخ علي .
٤٢ـ العنصرية الصهيونية ، د . عبدالوهاب المسيري .
٤٣ـ المصادر الاساسية للفنان التشكيلي المعاصر في العراق ، عادل كامل .
٤٤ـ سايكولوجية الطفل في مرحلة الروضة ، مدحت عبدالرزاق عبدالنبي .
٤٥ـ لمحات موجزة من تاريخ نضال الشعب العراقي صادق حسن السوداني .
٤٦ـ التكنولوجيا المعاصرة د . طه نايه ذياب ود . سامي مظلوم صالح .
٤٧ـ نظرية النظم . تاريخ وتطور . د . حاتم الضامن .
٤٨ـ الظل هذا الكائن العجيب ، د . ضياء الدين ابو الحب .
٤٩ـ في المسرح الشعري ، عبدالستار جواد .
٥٠ـ الكيمياء عند العرب . د . جابر الشكري .
٥١ـ نزعات انسانية في موسيقى بتهوفن ، غانم الدباغ .
٥٢ـ نظرات في علم الوراثة ، د . عبدالاله صادق .

٥٣ـ مقدمة في تاريخ للعربية ، د . ابراهيم السامرائي .
٥٤ـ الاسطورة ، د . نبيلة ابراهيم .
٥٥ـ برج بابل ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا .
٥٦ـ التاريخ الاقتصادي للشرق الاوسط ، ترجمة وتعريب عادل ابراهيم يعقوب .
٥٧ـ الرواية والمكان ، ياسين النصير .
٥٨ـ التخطيط المعاصر للمدن ، د . باسم رؤوف .
٥٩ـ هذا هو الفارابي ، مدني صالح .
٦٠ـ اعلام في النحو العربي ، د . مهدي المخزومي .
٦١ـ حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم ، ترجمة : يوسف عبدالمسيح ثروة .
٦٢ـ نظرات جديدة في مستقبل العمل الاذاعي ـ سعد البزاز .
٦٣ـ في صحة المجتمع . د . عبدالحسين بيرم .
٦٤ـ الرياضيات عند العرب . د . نصيف الجنابي .
٦٥ـ الابعاد القومية لثورة مايس ١٩٤١ في العراق د . محمد مظفر الادهمي .
٦٦ـ جدلية ابي تمام د . عبدالكريم البالي .
٦٧ـ المدخل لتاريخ العمارة العباسية وتطورها . شريف يوسف
٦٨ـ الطب البيطري عند العرب . د . طه حامد الشبيب .
٦٩ـ جماليات الفنون . د . كمال العيد .
٧٠ـ العلاج النفسي ، انواعه ، اساليبه ، مدارسه . د . فخري الدباغ .
٧١ـ ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي د . نوري حمودي القيسي .

٧٢ـ تاريخية المعرفة منذ الافريق حتى ابن رشد .
٧٣ـ التزامن بين الحروب الصليبية والف ليلة وليلة عبدالغني السلاح .
٧٤ـ الدماغ البشري د . طارق ابراهيم حمدي .
٧٥ـ آراء في الكتابة والعمل الصحفي . وائل العاني .
٧٦ـ تيارات حديثة في الادب الالماني . د . مصطفى عبدالحميد
٧٧ـ هنا بدا التاريخ . تاليف . س . ن كريمر ، ترجمة : ناجية مراني .
٧٨ـ ظهور الرواية الانجليزية . ترجمة د . يوليل يوسف عزيز .
٧٩ـ اضواء على حركة الشباب في القطر العراقي ، شامل عبدالقادر .
٨٠ـ المعجم العربي د . حسين نصار .
٨١ـ بين القادسية الاولى والقادسية صدام حسين . مهدي حسين البصري .
٨٢ـ ادارة الانتاجية .
تاليف : جي . اي . فارادي
ترجمة : ابراهيم عبدالله جرجس
سلمان يعقوب العبيدي
٨٣ـ الانسان في ادب وادي الرافدين د . يوسف حبي .
٨٤ـ الثورة والسياسة الدولية . جمال عبدالرزاق العبيدي.
٨٥ـ تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي د. عبدالجبار ناجي .

المحتويات

١ ـ خصائص الحكاية الشعبية العراقية ٤
٢ ـ الحكاية الشعبية العراقية والاوضاع الاجتماعية . . ٤٩
٣ ـ التاثير النفسي الشعبي في الحكاية الشعبية ٩٠
٤ ـ المصادر ١٠٠
٥ ـ حكايات شعبية موصلية . . ١٠٥
١ ـ اغا اوف ١٠٥
٢ ـ هرد وبدي . . . ١١٩
٣ ـ انا زكية ١٢٦
٤ ـ جنجل وجناجل . . ١٣٤
٥ ـ ست الستوت . . . ١٣٩

مكتبتنا العربية

Little Encyclopedia
A Fortnightly Cultural Series dealing with various branches of Science, Art, and Literature

Issued by Dar — Al-Jahidh
Al-Khulafä Street — Baghdad

Editor-in-Chief
Musa Kraidi

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(١٥٩) لسنة ١٩٨١

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م